الجمهـــورية الجـــزائرية الديمقـــراطية الشعـــبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

المركز الجامعي احمد بن يحي الونشريسي

معهد الآداب و اللغات

قسم اللغة العربية و آدابها

إعداد مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر الموسومة بـــ :

التأليف التعليمي في تراثنا النحوي العربي

دراسة في المنهج

إعداد الطالبتين :

❖عياد أم السعد .

❖قبلي جمعة .

إشراف الأستاذ :

غربي بكاي .

السنة الجامعية : 1435-1436

2014-2015

الجمهـــورية الجـــزائرية الديمقـــراطية الشعـــبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

المركز الجامعي احمد بن يحي الونشريسي

معهد الآداب و اللغات

قسم اللغة العربية و آدابها

إعداد مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر الموسومة بـــ :

التأليف التعليمي في تراثنا النحوي العربي

دراسة في المنهج

إعداد الطالبتين :

❖عياد أم السعد .

❖قبلي جمعة .

إشراف الأستاذ :

غربي بكاي .

السنة الجامعية : 1435-1436

2014-2015

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر

الشُكْرُ أَوَلاً وَأَخِيراً لله العَلّي القَدِير الذي غمرنا بنعمته و مساعدته لِإنْجَاز هَذَا العمل.

ومن دواعي امتناننا و عرفاننا لمن هو متفضّل علينا لا يسعنا إلاّ أن نتقدّم بعظيم شكرنا إلى أستاذنا الفاضل الدكتور: غربي بكاي لرعايته العلميّة لنا،وبتوجيهاته السديدة،وصبره الكبير .

وَالشُكْرُ كُلَّ الشُكْر لِكُلِّ مَنْ قَدَّمَ لَنَا يَدَ العَوْنِ مِنْ قَرِيبٍ أَوْ بَعِيد

وَعَلَى رَأْسِهِمْ الأستاذ الدكتور:محمود رزايقية الذي لن ننسى فضله علينا أبدا و كذلك الأستاذ يونسي الذي لم يبخل علينا بإرشاداته.

والشكر موصول أيضا لكل أساتذة المركز الجامعي الذين درسونا كل هذه المدة دون كلل و لا ملل.

أم السعد***جمعة

إهـــداء

إلى من سوّل في نفسي هداها وألهمها التّقى والنّقاء وبعثر داخلي المحبة والأمان خالقي ومصرف أموري.

أهدي هذا العمل المتواضع إلى منبع وجودي وقوتي وسندي في هذه الحياة:

أبـــي العزيز.

إلى من سقتني حنانها ولم تسألني يوما عن حناني: أمـي الحبيبة.

إلى كلّ إخوتي و أخواتي الذين يتشوقون لرؤيتي أسعد إنسانة في الحياة على رأسهم أمي الثانية و أختي الكبرى :زوليخة.

إلى رمز البراءة و الأمل الذي يبعث فينا الحياة:: عبد الناصر ، عبد النور ، إيمان هبة الرحمن، ملك نور اليقين ، عبد المالك

إلى رفيقة دربي في السراء و الضراء ، و التي عشت معها أفضل لحظات حياتي جمعة.

إلى أجمل و أروع رفيقات هذه الحياة :سعيدة ،مريم ،خديجة ،سهيلة.

إلى من كان لي في هذه لرحلة خير سند و خير رفيق أستاذي الفاضل : غربي بكاي.

إلى من كانت أبوابه مفتوحة و لم توصد في أوجهنا يوما الأستاذ: رزايقية محمود.

إلى كل الأسرة الجامعية وزملائي الطلبة و الطالبات.

أم السعد

مقدمة

مقدمة:

بسم الله الرّحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، والحمد لله رب العالمين الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على من أعطي جوامع الكلم، فكان أفصح من نطق بالضاد، ورضي الله تعالى عن آله الطاهرين المؤمنين ومن سار على نهجهم إلى يوم الدّين أثاب بفضله العلماء المسلمين الذين عنوا بلغة آيات الذكر الحكيم، فألفوا فيها واهتموا بجمعها، رضي الله عنهم أجمعين وأدخلنا و إياهم جنان النعيم أما بعد:

فإنّ علم النحو من أرقى العلوم قدراً، وأسماها نفعاً، يثقف به اللسان ويستفيض به عنان البيان، وترتفع به قيمة المرء إلى أعلى درجات الفصاحة والبلاغة، ويسلم به الكتاب والسنة من عادية اللحن والتحريف فهما ذخيرة المسلمين، فكان تدوينه عملاً مبروراً و سعياً في سبيل الله مشكوراً، فبه يتضح سبيل العلوم على اختلاف مقاصدها وتنوع ثمارها. فإن الطالب لا يسلكها على بيّنة وبصيرة إلا إذا كان على هذا العلم بقدر موفور.

وخليق بمن هو مقبل على رياض هذا الفن أن يدرك كل ملابساته بمعرفة ظروف نشأته ووضعه، وواضعه وأهم علمائه، ومراحل نموه وتطوره وازدهاره خوفاً من الاندثار والزوال وأن يلم بمؤلفات هذا الفن الكثيرة بتنوع اتجاهاتها، وبترتيب موضوعاتها، وبالصلة بينها نقلاً أو تعليقاً أو نقداً؛ بالإضافة إلى هذا فإنّ من أهم الأسباب التي دفعتنا إلى اختيار هذا الموضوع الموسوم

بـــ: التأليف التعليمي في تراثنا النحوي العربي "دراسة في المنهج" حب الإطلاع والاستكشاف عن كل ما هو متعلق بهويتنا العربية وكل ما يمس شخصياتنا العربية المبدعة الخلاقة طارحين إشكالات سنحاول الإجابة عنها في ثنايا هذا البحث منها: نشأة الدرس النحوي ودواعي ظهوره وما مظاهر تطوره؟ وما اللبنات الأولى لظهور المؤلفات النحوية المستقلة عن غيرها من العلوم؟ وما هي أهم أسباب ظهور التأليف التعليمي؟ وما طريقة وأسلوب عرض هذه المؤلفات التعليمية ؟

متّبعين في ذلك المنهج التاريخي الوصفي الذي وجدناه مناسبا لهذا الموضوع من خلال رصدنا وتتبعنا للمراحل التاريخية للدّرس النحوي ووصف المادة اللغوية وتخصيص التّأليف التّعليمي بالدراسة.

واقتضت منا طبيعة هذا البحث تقسيم خطته إلى مدخل وفصلين. تطرقنا في المدخل إلى بدايات الدرس النحوي ودواعي نشأته ومراحل تطوره تحت عنوان: **بواكير النحو العربي**.

أما **الفصل الأول** فجاء موسوما بـ: التأليف النحوي وينطوي على ثلاثة مباحث:

الأول: يتحدث عن تاريخ التأليف النحوي العربي.

و الثاني: يسلط الضوء على أهم مؤلفات النحو العربي.

و الثالث : يفصل في مناهج التأليف النحوي .

أما **الفصل الثاني** فجاء بعنوان: التأليف التعليمي في النحو العربي، وكذلك يحوي مبحثين:

الأول: المنهج التعليمي في النحو العربي.

و الثاني : يتطرق إلى أساليب المؤلفات التعليمية و أهم خصائصها .

و الثالث: دراسة نماذج تطبيقية في ملامح التأليف التعليمي في كتاب الأصول لابن السراج.

ومما هو معروف أنّ أي بحث أكاديمي لا يخلو من صعوبات وعراقيل تعترض طريقه منها ما يتعلق بصعوبة التحكم في الموضوع، وكذلك قلّة المصادر والمراجع في هذا العنوان بسبب انتشار مادته في ثنايا الكتب النحوية الأخرى.

وفي الأخير نتقدم بجزيل الشكر والعرفان للأستاذ الفاضل: **غربي بكاي** الذي لم يبخل علينا بأي مجهود، كما نشكر له فضل صبره علينا، و تحمله لنا طيلة هذه الفترة ونثمّن له كل نصائحه التي كانت في الصميم باعتبار أنّ مهمة الإشراف ليست بالمهمة السهلة.

كما نتقدم بالشكر الجزيل إلى من مدّ لنا يد العون من قريب أو بعيد وكذلك الذي لم يساعدنا لأنه زاد في دافعيتنا للعمل بجهد أكبر.

حررت يوم :**2015-05-21**

على الساعة :**13.00** بمكتبة الأدب

إعداد الطالبتين :

✓ عيـاد أم السعد

✓ قـبلـــــي جمعــة

مدخل

أوليات الدّرس اللغوي:

لقد ظلت اللغة العربية على سابق عهدها لغة راقية متينة ثابتة، دعائمها راسخة في الأذهان إلى أن جاء الدّين الحنيف فزادها جمالاً، ودقّةً في الألفاظ، وحسناً في البيان لقوله تعالى :{ الرَّحْمَنُ ﴿1﴾عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿2﴾خَلَقَ الْإِنسَانَ ﴿3﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿4﴾[1]}. فزادها أدلّة إعجاز باعتبار أنّه نزل بلسان عربي مبين)، فبلغت أوجّها وقمّة مجدها؛ لأنّها أصبحت لغة الدّعوة إلى الإسلام، حيث قال أحمد ابن عبد الله إنّ شيخ الإسلام ابن تيمية يرى أنّ: "اللغة العربية من الدّين، ومعرفتها فرض وواجب، فإنّ فهم الكتاب والسنّة فرض، لا يفهمهما إلاّ بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب"[2] وهذا الكلام دليل واضح على مكانة وأهمية معرفة العربية، ودورها في فهم النص القرآني الكريم، والسنّة النبوية، وللإفادة منها.

وبالتالي فإنّنا نجد أنّ القرآن الكريم قد قدّم خدمة كبيرة للغة العربية سخّرها علماؤها من أجل فهمه، والكشف عن أسراره، وسير أغواره، ولقد ظل الأمر كذلك إلى أن ولج الكثير من الأجناس حقل العربية بعد شيوع الدّين الجديد وكثرة الفتوحات الإسلامية، فدخل الكثير من النّاس للإسلام وأقبلوا عليه أيّما إقبال، فتأثروا بعجيب نظمه، وسحر بيانه، ورونق لفظه، وحلاوة معانيه، برغم جهلهم للعربية. فبعد إسلامهم وامتزاجهم بغيرهم من العرب بدأ اللحن يتفشى في الألسنة وهذا ما سبّب خوفاً كبيراً لدى أهل العربية؛ لأنّ ضياعها يؤدي بالضرورة إلى ضياع معاني النّص القرآني، والعرب-كما هو معروف-أهل لغة

---

1 – سورة الرحمان ، الاية : 01 إلى 04 .

2– أهميّة اللغة العربية مناقشة دعوى صعوبة النحو، أحمد بن عبد الله الباتلي، تقديم: الشيخ عائض بن عبد الله القرني، دار الوطن، الرياض(السعودية)، ط1، جمادي الأول 1412هـ، ص: 90.

يعتزون ويفخرون بها، ويغارون عليها كغيرتهم على أغراضهم وشرفهم أو أكثر، فما بالك بالنص القرآني الكريم الذي أصبح دستور دينهم ودنياهم، فسارعوا إلى جمع اللغة والتّصنيف فيها، وتقعيد قواعدها، فرحلوا إلى البوادي، وأخذوا اللغة من منابعها الحقيقية، فأخذوا عن أهل البوادي الذين بقوا على سليقتهم، فلم يختلطوا بالعجم على عكس أهل الحضر الذين حادوا عن اللغة العربية الفصحى لانفتاحهم على الأمم الأخرى، فأهملوا شؤون حياتهم ومصالحهم، وغادروا من أجل الحفاظ على لغتهم، فارتحلوا إلى كلّ حَدْبٍ وصوب، واستنطقوا أهاليها كبيراً وصغيراً، شباباً وشيوخاً، رجالاً ونساءً، وحتى الأطفال والمجانين، فكانوا حريصين جداً على تنقية اللغة العربية من كل الشوائب التي التصقت بها، فلم يَدّخروا في ذلك جهداً.

وقد نشأ الدّرس اللغوي وترعرع وتطور في أحضان النّص القرآني الكريم، فقد شكّل هذا الأخير حقلاً خصباً، أثمرت خدمته في ظهور الكثير من الدراسات والعلوم، وهذه حقيقة لا يمكن إنكارها؛ فالقرآن الكريم كان ومازال يمثل المرجع الأوّل للعربية ولأهلها، حيث يجمع أهل كل العربية أنّ:" القرآن الكريم كلام الله تعالى وتنزيله، فصّل فيه مصالح العباد في معاشهم ومعاهدهم ممّا يأتون ومما يذرون، ولا سبيل إلى علمه، وإدراك معانيه إلاّ لتبحر في علم هذه اللغة."[1]؛ أي أنّ معرفة العربية شرط وفرض واجب إدراكه ومعرفته لكل عالم فقيه في الدّين.

[1]–المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدّين السيوطي، شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته وعلق حواشيه: محمد أحمد جاد المولى بك، علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، مصر، ج2، ط3، 2008/10/20، ص: 302.

بدايات النحو:

بعد دخول الأعاجم إلى الإسلام وتفشي اللحن واضطراب السلائف وشيوع الأخطاء بكل أنواعها عمد علماء العربية إلى وضع علم يحمي لغتهم من الزيغ والانحراف لتستقيم به ألسنتهم وتصان به لغتهم، فيحافظوا على حياتها واستمراريتها من جهة، والحفاظ على القرآن الكريم من جهة أخرى، وقد اختلفت الآراء وتعددت الرّوايات حول نشأة النحو ومن وضعه وحكاية وضعه، فنُسِبَ إلى كثير من العلماء والشخصيات، نذكرها فيما يلي:

الرأي الأول: الذي نسب وضع النحو إلى الإمام علي بن أبي طالب.

الرأي الثاني: الذي نسب وضع النحو إلى أبي الأسود الدؤلي.

الرأي الثالث: الذي نسب وضع النحو إلى تلاميذ أبي الأسود الدؤلي[1].

وسنتطرق إلى كل رأي بنوعٍ من الشّرح والتّفصيل.

1- الرّوايات التي تنسبه إلى الإمام علي:

لقد ورد في معجم الأدباء أنّ أبا الأسود الدؤلي قد دخل على علي بن أبي طالب فقال:"رأيته مطرقاً مفكراً، فقلت فيما تفكر يا أمير المؤمنين؟ قال: إنّي سمعت ببلدكم هذا لحناً فأردت أن أضع كتاباً في أصول العربية، فقلت: إن فعلت هذا يا أمير المؤمنين أحييتنا وبقيت فينا هذه اللغة، ثمّ أتيته بعد أيّام فألقى إليّ صحيفة فيها: باسم الله الرحمن الرّحيم: الكلام كلّه اسم، وفعل وحرف، والاسم ما أنبأ عن المسمى،

[1]- النحو العربي ومناهج التأليف والتحليل، شعبان عوض محمد العبيدي، منشورات جامعة قاريونس، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق(سورية)، 1989، ص: 39.

والفعل ما أنبأ عن حركة المسمى، والحرف ما أنبأ عن معنى ليس باسم ولا بفعل، ثمّ قال لي: تتبعه وزد فيه ما وقع لك، واعلم يا أبا الأسود أنّ الأشياء ثلاثة، ظاهر ومضمر، وشيء ليس بظاهر ولا بمضمر، قال: فجمعت منه أشياء وعرضتها عليه، وكان ذلك من حروف النصب، فكان منها:"إن وأن، وليت ولعل، وكأن" ولم أذكر "لكن" فقال لي: لما تركتها؟ فقلت: لم أحسبها منها، فقال: بل هي منها فزدها فيها"[1].

وحسب هذا القول فإنّ واضع علم النحو هو علي بن أبي طالب، وأمّا من زاد فيه، وأثرى بحثه، فاستلم الرّاية بعده هو أبو الأسود الدؤلي.

وجاءت رواية أخرى في كتاب أنباه الرّواة 'لياقوت الحموي' لا تغيير فيها، ماعدا بعض التعديلات البسيطة في الألفاظ، إلاّ أنّ المعنى بقي كما هو، كما أشار القفطي كذلك إلى وجود مجموعة أوراق يعتقد الورّاقون أنّها لعلي بن أبي طالب اتّفقوا على أنّها المقدمة التي أخذها الدؤلي عنه، أمّا الأنبا ري فقد ذهب المذهب نفسه، حيث أقرّ أنّ علي بن أبي طالب هو واضع النحو ثمّ أورد روايات أخرى لا تختلف عن التي سبقتها[2]، بالرّغم من ذكر مختار غيره في روايات أخرى موضحًا أسباب وضع النحو من قبل الدؤلي، فإنّه يعود ويرجع اختياره الأوّل؛ أي أنّ علي هو واضع النحو فيقول: "اعلم أيدك الله تعالى بالتوفيق، وأرشدك إلى سواء الطريق، أنّ أوّل من وضع علم العربية، وأسس قواعده، وحدّ حدوده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وأخذ عنه أبو الأسود الدؤلي..."[3]؛ أي أنّ علياً هو واضع النحو، أما سبب وضع

[1]- ينظر: المرجع السابق، ص: 39-40.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص: 40-41.

[3]- نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، محمد الطنطاوي، دار المعارف، مصر، ط2، ص: 24.

هذا العلم فجاء عن الدؤلي أنّه دخل على أمير المؤمنين، فوجد في يده رقعة[1]، فقال:"ما هذه يا أمير المؤمنين؟ فقال: إنّي تأملت كلام العرب فوجدته قد فسد بمخالطة هذه الحمراء، يعني الأعاجم، فأردت أن أضع شيئا يرجعون إليه ويعتمدون عليه، ثم ألقى إليّ الرّقعة وفيها مكتوب: الكلام كله اسم وفعل وحرف...،وقال لي: اُنْحُ هذا النحو وأضف إليه ما وقع إليك، واعلم يا أبا الأسود أنّ الأسماء ثلاثة: ظاهر ومضمر، واسم لا ظاهر ولا مضمر، وإنّما يتفاضل الناس يا أبا الأسود فيما ليس بظاهر ولا بمضمر وأراد بذلك الاسم المبهم، ثمّ قال: وضعت بأبي العطف والنعت، ثمّ بابي التّعجب والاستفهام..."[2].

وفي رواية أخرى أنّ سبب وضعه للنحو؛ أي علياً أنّه سمع أعربي يقرأ الآية الكريمة:"إلا الخاطئين" فوضع النحو[3].

ومن خلال ما سبق نخلص إلى أنّ النحو لعلي بن أبي طالب، وهو من دفع الدؤلي للتوسع فيه.

2-الروايات التي نسبته إلى الدؤلي:

لقد اعتبر الكثير من الباحثين أنّ أبا الأسود الدؤلي أوّل من وضع النحو وألف فيه أول كتاب، وأول من وضع العربية[4]، ويورد ابن النديم في كتابه الفهرست أنّه" رأى أربع أوراق يحسبها من ورق الصين وترجمتها: هذه فيها كلام في الفاعل والمفعول من أبي الأسود -رحمة الله عليه-بخط يحي بن يعمر، وتحت

[1]- ينظر: المرجع السابق، ص: 24.

[2]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3]- المرجع نفسه، ص: 25.

[4]-ينظر: ابن جني النحوي، فاضل السامرائي، دار الندى للطباعة و النشر، جامعة بغداد، العراق، 1389هـ-1969م، ص: 59.

هذا الخط بخط عتيق: هذا خط علان النحوي، وتحت هذا خط النضر بن شميل، هذا كلام رجل ثقة، لا يحدث بما سمع ولكن بما رآه رأى العين"[1]، فابن النديم يؤكد أنّ النحو للدؤلي وليس لأحد آخر.

وقد وصلنا في كتاب طبقات الشعراء أنّ البصرة كانت أم العلوم والنحو ومختلف لهجات العرب، وأنّ أوّل من وضع ثوابت العربية، وفتح مجال البحث فيها الدؤلي حينما تفشى النحو وحادت العرب عن عربيتها الفصيحة، فوضع الفاعل والمفعول والمضاف وحروف الجر والنصب والجزم[2].

وتختلف الكثير من الرّوايات حول السّبب الحقيقي لوضعه النّحو منها رواية تشير إلى أنّ قوماً قدّموا إلى زياد فقالوا له:" أصلح الله الأمير توفي أبانا وترك بنوناً، فقال زياد: توفي أباناً وترك بنوناً، ادع لي أبا الأسود، فقال: ضع للناس العربية."[3]

فقد كان شيوع اللحن هو السّبب الرّئيسي لظهور علم النّحو. وتوجد رواية أخرى تحكي قصة الدؤلي مع ابنته حينما قالت: ما أحسنُ السماءِ فقال: نجومُها. فردّت أنّها لم تكن مستفهمة بل أرادت التعجب من جمال السماء، فقال: قولي إذن ما أحسنَ السماءَ بفتح كلا الكلمتين"[4].

وقد كان الدؤلي ملماً بعلوم العربية متفقهاً في الدّين شارحاً فاهماً للحديث النبوي الشريف، شاعراً جيداً، وفيما جاء عن أخباره نجد أنّ هناك شواهد تدل على أنّه كان كما توسّم فيه عمر صاحب حسن

---

[1]- تاريخ النحو، علي النجدي ناصف، دار المعارف، مصر، ص: 10.

[2]- ينظر: النحو العربي ومناهج التأليف والتحليل، شعبان عوض محمد العبيدي، ص: 44.

[3]- المرجع نفسه، ص: 45.

[4]- ينظر: الحلقة المفقودة في تاريخ النحو العربي، عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1413هـ-1993م، ص: 11.

لغوي مرهف يستطيع تمييز الأساليب بعضها من بعض وإدراك ما تختلف وتتشابه فيه، وما يؤثر في المعنى فقد كان ذواقاً له دقة في اللغة وحسن بيان فكان أكمل الرّجال رأياً وصاحب عقل سديد[1].

3- الرّوايات التي تنسب وضعه إلى تلاميذ الدؤلي :

وجدت بعض الرّوايات التي تنسب وضع النحو العربي إلى عبد الرّحمن بن هرمز الأعرج، وأخرى تنسبه إلى نصر بن عاصم[2]، ويرى ابن الأنبا ري أنّ هذا غير صحيح لأنّ كليهما أخذ عن الدؤلي ويقال عن ميمون الأقرن[3]، فابن الأنبا ري ينفي صحة ما ذهب إليه واضعو هذه الرّوايات ذلك أنّ كلاً منهما تلميذ للدؤلي.

أما من نسب إليهم أولية النحو العربي بعد الدؤلي لأنّهم منه استقوا علومهم، فإنّ هذه الروايات لا تحمل حججاً مقنعةً كقولهم: زعم قوم وآخرون، وقال أهل العلم دون توضيح أو بيان من هؤلاء الذين نسب إليهم وضع النحو وجاء عن أبي عبيدة أنّه قال: إنّ أوّل من وضع النحو الدؤلي، ثم الأقرن، وبعده نسبه الفيل ثم ابن أبي إسحاق، ثم عيسى بن عمر[4].

---

[1]- ينظر: مدخل إلى تاريخ النحو العربي، علي أبو المكارم، دار غريب، مصر، 2008، ص: 91.

[2]- ينظر: نزهة الألباب في طبقات الأدباء، أبو البركات ابن الأنبا ري، تح: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الأردن، ط3، 1405هـ- 1985م، ص: 21.

[3]- ينظر: المرجع نفسه، ص: 21.

[4]- ينظر: النحو العربي ومناهج التأليف والتحليل، شعبان عوض محمد العبيدي، ص: 51-52.

عوامل نشأة النحو العربي:

مما لا شك فيه أنّ لكل دراسة أو مجال بحث أو تحليل أو تقعيد سبب أو مجموعة من الأسباب التي تدفع للمضي فيها قدماً، خاصةً إذا كان الحديث يدور حول قضية مهمة جداً تمس اللغة العربية خاصةً فيما يتعلق بمسألة النحو العربي وأسباب نشأته، فقد كبر وتطور في ظل مجموعة من العوامل نذكرها فيما يلي:

1/العامل الديني:

بعد نزول النّص القرآني الكريم على الرّسول صلى الله عليه وسلم بلسان عربي مبين، أصبحت له صلة وثيقة باللغة العربية، فكان صلاحه من صلاحها وخدمته من خدمتها، وأصبح هذا النّص الحكيم دستوراً للمسلمين يشمل آدابهم وقيمهم وعباراتهم وفرائضهم، وقد كان لألفاظه ومعانيه وأوامره ونواهيه وقع في أنفسهم، ومن هنا فإنّ الاهتمام به وحمايته من الخطأ والزلل قد أصبح مهمّة كل من يعتز بدينه وعربيته، فبادروا إلى حفظه وجمعه ممن بقوا بعد حروب الردة من صحف وعظام وسعف نخيل، ومما احتفظ به المسلمون وحفصة بنت عمر، فاكتتبوا مصحفاً أسموه باسم "المصحف العثماني"، وقد كان لعثمان بن عفان دور كبير في عملية الجمع والتّرتيب والتّدوين لأنّ كل ذلك كان بأمر منه[1].

ولم يكن هذا المصحف منقولاً ولا مضبوطاً بالشّكل وبالتالي فهو ليس بمأمن عن التحريف، فقد كانت الكلمة تقرأ على عدّة ضروب، وبالرّغم من ذلك إلاّ أنّها لم تؤثر في معانيه، لأنّه ظلّ مستنداً بتواتر الرّواية

[1]- ينظر: الأصول دراسة ابستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب النحو- فقه اللغة- البلاغة، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة(مصر)، ط1، 2009م-1430هـ، ص: 23-24.

الصحيحة عن الرّسول صلى الله عليه وسلم. ولما ظلّ هذا النّص الكريم مكتوباً بتلك الطريقة فتح الباب من جهة تعدد القراءات القرآنية التي كانت تنسجم معه انسجاماً تاماً حتّى وإن اختلفت فيما بينها فكان ذلك نعمة فتحت الباب أمام الكثير من الاجتهادات الفقهية والنحوية، وهذا لم يمنع ورود الخطأ في هذا النص من قبل الوافدين الجدد عليه[1].

وهكذا فإنّ تعلم اللّغة العربية والاهتمام بها قضية دينية وجب القيام بها لأنّها كانت تمثل في نظر أبنائها خاصة القادة المسلمين الّذين فتحوا الأمصار وحدة فكرية بين كل المسلمين[2].

2/العامل الاجتماعي:

وقد نتج هذا العامل من خلال الاختلاط بين القبائل العربية والأعاجم، فقد فرض هذا الاختلاط وجود لغة تمحو هذه الفوارق وتصبح لغة تواصل بينهم، ذلك أنّ القبائل قد انفتحت على الأمم الأخرى، بالرّغم ن أنّها حاولت الحفاظ على أصالتها من خلال إقامتها في شبه مناطق مقفلة، إلاّ أنّه كان هناك الكثير من العبيد والخدم والطهاة والتّجار الذين كانت لهم معاملات مع الجيوش الإسلامية[3].

3/العامل القومي:

لما وجد العرب أنفسهم وجهاً لوجه أمام ثقافات لم يعهدوا لها مثيلاً كالثّقافة الساسانية في العراق وفارس، واليونانية والرومانية، والشّام ومصر، وحتى الهندية التي جاءتهم عبر الفرس واليهودية التي حرصت

[1]- ينظر: المرجع السابق، ص: 24-25.
[2]- ينظر: مدخل إلى تاريخ النحو العربي، علي أبو المكارم، ص: 56.
[3]- ينظر: المرجع نفسه ، ص: 55.

على حفظ العبرية، وجد العرب أنفسهم أمام موقفين: **الأول** أن يتمسكوا براية الإسلام ورسالته ويكونون بذلك أصحاب دعوة يدعون إلى الخير والهداية، وهذا موقف يحمل نوعاً من التناقض، كما يقوم كذلك بتعريض الإسلام إلى غزو أفكار أجنبية.

أما الموقف الثاني: وهو أن يصبحوا أهل رسالة وأهل ثقافة تساعدهم في نشر رسالتهم التي جعلتهم من أخيار الأمم ورفعتهم إلى منزلة عالية جداً، فتكون نظرتهم هنا للقرآن نظرة قومية والهدف منها ليس الحفاظ على القرآن كما سبق الحديث في العامل الديني؛ بل إنّ القرآن الكريم أصبح المحور الذي تدور في فلكه كل الدراسات اللغوية كعلم التفسير ما دام أنّه يخضع لعدّة تأويلات، وعلم الحديث باعتبار أنّ الحديث جاء مفسراً له، وكذلك أنّه نزل بلسان عربي مبين فله في الشعر الجاهلي ما يستدل به على عروبته، وفي القرآن الكريم ذكر للأمم الأوّلين فلك الخوض في تاريخ الأمم والعرب، وهو معجز بلفظه وتركيبه، ودلالاته وحسن بيانه، فيظهر هذا جلياً في علم البلاغة...إلخ[1].

وهكذا نخلص إلى أنّه:"إذا كان العامل الدّيني قد دفع العرب إلى حفظ نص القرآن، فإنّ العامل القومي قد دفعهم إلى جني ثمار القرآن"[2]، فكل علوم العربية قد نشأة وترعرعت وكبرت في أحضان القرآن الكريم.

[1]- ينظر: الأصول دراسة ابستيمولوجية عند العرب للفكر اللغوي، تمام حسان، ص: 25-26.

[2]- المرجع نفسه، ص: 26.

4/العامل السياسي:

لما فتح المسلمون مختلف الأمصار والبلدان دخل أولاد الأمم المفتوحة الإسلام طوعاً أو كراهية، وأصبحوا تحت راية الإسلام فانصاعوا لأهلها نهاية فترة عهد الخلفاء الرّاشدين، ومع بداية الدولة الأموية التي عمد حكامها إلى التّمييز بين القبائل العربية، ففرّقوا بين المسلمين بحسب أعرافهم فأصبح هناك عربي قح وآخر مولى، أمّا العربي فهو من يعلو بلغته ولسانه باعتبار أنّها لغة آيات الذكر الحكيم، واللّغة الرسمية للدولة على عكس المولى، فاحتل العرب الأماكن العليا في الدولة، وظلّ المولى حبيس مكانته، فحالت اللّغة دونه ودون ما كان يصبو إليه.

ولم يكن العرب هم الذين اهتموا فقط بالعربية والبحث فيها كما يرى يوهانس فوك :" أنّ المجتمع العربي في عهد الأمويين لم يكن وحده الذي يعترف بالعربية على أنّها القدرة الرّفيعة والمثل الأعلى بل كذلك الدّوائر الإسلامية غير العربية من طبقة الموالي الملحة في التسامي والتعالي، فكانت سبيل طموحها إلى محاكاة الطبقة السائدة فيم تفعل ...[1]، وقد شكّل هذا دافعاً قوياً للموالي الّذين أبوا إلاّ أن يتعلموا العربية، وقد كان لصنيع الدؤلي في نقطه للمصحف الكريم فضلاً كبيراً، فسح لهم المجال للتّعرف على العربية واكتسابها، فانتزعوا راية النحو من أيدي العرب، واستلموها هم، فتطور النحو على أيديهم وكبر وبلغ النضج من خلال جهودهم، فحولوا النحو العربي من منهج علمي إلى منهج تعليمي، فكتبوا مجموعة من

[1]- الموجز في الأدب العربي و تاريخه، حنا الفاخوري، دار الجيل، بيروت، 1424هـ- 2003م، مج:1، ص: 299-300.

المختصرات ساعدت وسهلت تعلم العربية لكل من يشاء، فحققوا الإنصاف لأنفسهم كما ساهموا في خدمة القرآن الكريم[1].

أطوار النحو العربي:

لقد مرّ النحو العربي انطلاقا من نشأته وتطوره إلى النضج والتّصنيف بأربعة أطوار متداخلة فيما بينها نذكرها فيما يلي:

01/طور الوضع والتكوين((بصري):

يمتدّ هذا الطور من عصر الدؤلي إلى عهد الخليل، وقد استلمت مدرسة البصرة الرّيادة في هذه الفترة وانصرفت الكوفة إلى رواية الأشعار والأخبار. فقد اهتّم بالدّرس النحوي في هذه المرحلة طبقتان من علماء البصرة بعد الدؤلي، حتى عرفت أصوله وانفتحت بعض أبوابه فاهتمت الطبقة الأولى بما ورث عن الدؤلي، ومن أهم أعلامها: عنبسة الفيل، ونصر بن عاصم الليثي، وعبد الرّحمن بن هرمز، ويحي بن عمر العدواني، توجد لهم أي آثار إلاّ آراء متفرقة هنا وهناك، لأنّهم اعتمدوا على حفظ ما أنتجوه في صدورهم، وتداولوه مشافهة، وواصل من أتى بعدهم هذا البحث، وقد بذلوا جهوداً كبيرةً أثارت فيما بعد حركة علمية لتقعيد القواعد و إخراج القراءات و فهم النّصوص اللغوية والنحوية، كما أنشأوا حلقات نقاش فبحثوا في قواعد النصوص، ودقّقوا في أساليبها واستنباط أحكامها.[2] فكانوا أوفر حظاً ممن سبقهم

[1]- ينظر: الأصول دراسة ابستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، تمام حسان، ص: 27-28.

[2]- ينظر: ظاهرة قياس الحمل في اللغة العربية، عبد الفتاح حسن علي البجة، دار الفكر، عمان، ط1، 1419هـ-1898م، ص: 31-32.

فاتّسعت آراؤهم وأثمرت نقاشاتهم، فصنّفوا كتباً مفيدة وكان منهم الحضرمي الّذي فرع النحو ومدّ قياسه، وعيسى بن عمر في كتابيه "الجامع والإكمال"، وأبو عمر وصاحب التصانيف الكثيرة[1].

02–طور النشوء والنمو(بصري، كوفي):

يبدأ من عهد الخليل والرؤاسي إلى أوّل عهد المازني البصري وابن السكيت الكوفي. وقد اشترك فيه أهل البلدين، فتلاقت الطبقة الثالثة التي يتقدمها الخليل والكوفية الأولى التي يترأسها الرؤاسي ثمّ طائفتان بعدهما، فعرف النحو قفزةً نوعيةً فيما يخص النحو من جهة، وظهرت مباحث الصّرف من جهة أخرى، فاهتموا بأبنية الكلمة على عكس ما ذهب إليه السابقون من خلال اهتمامهم بأواخر الكلمات، فاهتموا بصون الكلام من اللحن[2]. "وأصلحوا هيكله الصوري لتأدية العامة، فإنّ تلك التأدية لا تتم إلاّ إذا سلمت جواهر أجزائه التي يتقوم بها..."[3]؛ أي تقويم الكلام العربي مما اعتراه من لحن وزيف، فقد عرف هذا الطّور استقصاء العلماء لكلام العرب، وتقعيد القواعد واشتدّ الصراع بين أهل البلدين.

03–طور النضج والكمال(بصري كوفي):

هذا العهد يمتدّ من أبي عثمان المازني البصري سيد الطبقة السّادسة ويعقوب بن السّكيت الكوفي إمام الطبقة الرّابعة إلى نهاية عصر المبرّد البصري، وثعلب الكوفي.

---

[1]– ينظر: نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، محمد الطنطاوي، دار المعارف، مصر، ط2، ص: 37–38–39.

[2]– ينظر: المرجع نفسه ، ص: 40–41–42.

[3]– المرجع نفسه، ص: 41.

وقد جنى هذا الطور ما أنتجه علماء الطور الذي قبله، فوصل النحو إلى النضج والكمال فتميّز علمائه عمن سبقهم من أهل البلدين واحتدمت العصبية بينهم، وقد تولدت عن تلك المجادلات والمناظرات حركة علمية حثيثة بسطت فيها الأمور العويصة، وتوالت الشروح والمختصرات وتأسست التعريفات والاصطلاحات.

كذلك ما يميز هذا الطور عن الطور الذي سبقه تخليص النحو من الصرف الذي ظلّ لصيقاً به في التّأليف إلى أول هذا الطور ولم ينقض هذا الطور حتى شملت دراساته كل من البصرة والكوفة وبغداد فاهتموا به وحرصوا على استنباط قواعده والإحاطة بكل ما يعنيه فاستوى النحو وبرزت شخصيته.

ومن أهم علماء هذا الطور البصريون منهم: المازني والجرمي، وأبو محمد التوزي، والسجستاني، والرياشي والمبرّد...وغيرهم. أما الكوفيون فمنهم: السكيت، ومحمد بن سعدان، وثعلب، والطوال...وغيرهم، فاتسم هذا الطور بشيوع المناظرات بين هؤلاء العلماء[1].

4–طور الترجيح (بغدادي):

لقد مهدت له المفاضلة بين المذهبين الكوفي والبصري من خلال اختيار مسائل من كلا المذهبين، خلصوا من خلالها إلى قواعد من صنعهم لا صلة لها بالمذهبين سواءً اجتهاداً أو قياساً، فكان هذا المذهب في عمومه منفقاً لما أثمرته مجهودات كلا المدرستين(الكوفة والبصرة)مع بعض قواعد استنبطوها هم وعلى هذا العربي فمسائله إما بصرية أو كوفية أو مبتكرة.

[1]– ينظر: المرجع السابق، ص: 46–47.

وقد اهتّم علماء هذا المذهب الجديد في البداية بمسائل الكوفة لكن بعدما ماتت العصبية وهدأت الأطراف المتناحرة المنتصرة لأي من المذهبين مالت الكفّة إلى البصريين[1]. ويرى ابن الشجري أنّ" نحاة الكوفة في أكثر كلا مهم تهاويل فارغة من الحقيقة"[2]. فانصرف المتأخرون عما جاء به الكوفيون، واهتموا بما جاء به أهل البصرة الّذين كان لهم الفضل الكبير في تأسيس النحو وتقعيد قواعده. وفي هذا القرن تحول النحو العربي من الدراسات اللغوية إلى دراسة أسلوبية تعبيرية فاتّخذ مجالاً علمياً دقيقاً ولم يعد كسائر الدّروس لتحليل الكلام مواضعه ومراجعة قواعده، بل انفرد بالدّراسة المتكاملة الهادفة إلى ربط الرّوابط النحوية للأغراض والأفكار.[3]

ومن أهم علمائهم ابن مضاء الذي حاول تغيير فكرة النحاة المناطقة الذين تأثروا بفكرة العامل وإصرارهم على مزج كلامهم بالمنطق فحاول ترسيخ نحو جديد.[4]

ولقد بدأ التّصنيف في هذا الدّرس اللغوي والنحوي، حيث قام علماء بغداد في هذه الفترة باستكمال الفائت وتعديل بعض آراء المشارقة واستدراك بعض المسائل إضافة إلى الشروحات وتأليف الكتب، فقد شهد هذا القرن تأسيس عدّة مدارس منها المدرسة النظامية ببغداد، حيث أسسها نظام الملك، كما

---

[1]- ينظر: المرجع السابق ،ص: 185-186.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص: 186.

[3]- ينظر: دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تح: محمد رضوان الداية، مكتبة سعد الدين، دمشق، ط1، 1403هـ-1983م، ط2، 1407هـ-1987م، ص: 13.

[1]- ينظر: أعلام في النحو العربي، الشيخ أبو الحسن الفاضلي، منشورات دار الجاحظ، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ط1، 1400هـ-1980م، ص: 110-111.

تأسست قبلها المدرسة الصادرية بدمشق ودار القرآن الرثائية.[1] أو بعبارة أخرى احتفاء المغاربة بالدّرس النحوي بعد سيطرة المشارقة لأمد طويل.

[1]- ينظر: مراكز الدراسات النحوية، عبد الهادي الفاضلي، مكتبة المنار، الأردن، ط1، 1406هـ-1988م، ص: 376.

الفصل الأول

التّأليف النحوي:

لقد عرف الدّرس النحوي قفزة نوعية فريدة من نوعها لما انتقل من المشافهة إلى التدوين والتصنيف والتأليف، فقد وجد منظرو المادة اللغوية في تتبع البحث اللغوي عند العرب أن العلماء جمعوها واستقرؤوا قواعدها، وحللوا مسائلها ومكوناتها وفق طرق ومناهج سمحت لهم بتأليف جهودهم ضمن كتب ومصنفات كان لها دور مهم في خدمة العربية ويذكر الجاحظ أنّ" من صنّف كتاباً فقد استهدف، فإن أحسن فقد استعطف، وإن أساء فقد استقذف..."[1]. فبدأت تتشكل معالمه وتظهر إلى الوجود شيئاً فشيئاً على يد عالم جليل من علماء العربية والذي أصرّ على أن يضع كتاباً ثرياً مثل كتابه الذي لقّب بقرآن النحو، باعتبار أنّه خلّص النحو مما كان يلتف به من العلوم اللغوية الأخرى التي كانت تشكل فيما بينها لحمة واحدة، فكانت المعارف مشتّتة هنا وهناك تحتاج إلى تخطيط ممنهج، وسيبويه بدوره قام بتخليص النحو مما كان يشوبه من توسع واختلاط، ففتح الباب على مصراعيه لظهور مباحث لغوية مستقلة.

فكتاب سيبويه أوّل كتاب يصلنا في صورة كاملة، يجمع بين دقّة التّأليف ودقّة الاستشهادات ووضوح التعليلات[2]؛ ذلك أنّه كان يشكل وعاء جمع وشمل كل ما تعرض له الدّرس النحوي من تغيرات وتطورات وانجازات...فقد أصبح هذا الأخير قبلة كل الباحثين والدّارسين المهتمين بالدّرس

---

[1]- ينظر: مناهج التأليف النحوي، كريم حسين ناصح الخالدي، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1427هـ-2007م، ص: 11.

[2]- ينظر: تطور الدّرس النحوي، حسن عون، معهد البحوث والدّراسات العربية، ص: 31.

النحوي، حيث صوّر لنا سيبويه في كتابه جوانب مهمّة للدّرس النحوي، فركّز على مجهوده في تطوير ما جاء به السابقون بأسلوب أكثر وضوح،كذلك رصد لنا آراءهم واختلافاتهم ومناقشاتهم وحتى اهتماماتهم، فبلغ عدد الآراء التي أوردها سيبويه في كتابه858 رأياً لأئمة الدّرس اللغوي والنحوي، كالخليل بن أحمد الفراهيدي، ويونس ابن حبيب، والأخفش، وأبو عمر، وبن العلاء، وعيسى بن عمر ...وغيرهم[1]. ومما لاشك فيه أنّه كان لكتاب سيبويه الرّيادة في مجال التّأليف النحوي، لكن هذا لا ينفي وجود محاولات سبقته، فكل قضايا الدّرس النحوي وما لحقه من تطورات وتغيرات وإنتاجات من عهد علي بن أبي طالب، وتلميذه أبو الأسود الدؤلي إلى عهد سيبويه، عرفت محاولتين في هذا المجال:

الأولى: ما رواه ابن النديم في كتابه الفهرست عن وجود صفحات حاول فيها أبو الأسود الدؤلي وضع الأبواب النحوية، لكن يختلف الرواة حول هذه المقولة، فمنهم من يذهب إلى أنّ الأبواب النحوية التي إليها الدؤلي جاء فيها الحديث حول الفاعل، وإنّ وأخواتها، والتعجب، ويضيف آخرون على ذلك أبواب أخرى، لكن تبقى مجرّد رواية لا أثر مادي أو ملموس يدل على صحتها.

أمّا **الثانية**: فهي محاولة عيسى بن عمر في كتابيه'الجامع والإكمال' اللذان نالا مكانة عالية عند النحاة الذين تحدثوا عنهم،و رغم ذلك لا نجد أحدً يجزم بأنّه رآهما أو رأى أحداً آخر رآهما[2].

[1]- ينظر: المرجع السابق، ص: 32-33.

[2]- ينظر: المرجع نفسه ، ص: 23-24.

الكتاب لسيبويه:

سيبويه إمام البصريين وهو عمرو بن عثمان بن قنبر(ت: 180هـ)، نشأ بالبصرة أخذ علومه عن الخليل ويونس والأخفش، كان رجلاً عليماً ملماً، حسن التصنيف وله الكتاب لم يسبقه إليه أحد كذلك لم يلحق به لاحق[1]، وقد تعددت الآراء واختلفت وجهات النظر حول هذا الكتاب الذي شكّل نقطة تحول في مسار النحو العربي، فقد قيل بشأنه كلام كثير مثير حول نسبة هذا الكتاب لسيبويه، فزادت أهميته وعظمت مكانته، " فهذه الخلافات فتحت الأبواب للتّشكيك، وخلق لون من التردد في قبول ما يضمنه هذا الكتاب الضخم من المعارف اللغوية والآراء النحوية والنصوص العربية، وهذا الشّك زاد من غزارة وضخامة مادة الكتاب في وقت مبكر جداً، بحيث لا تقدم المعطيات الأولى للدرس اللغوي الدليل الواضح على أنّ ظهور الكتاب يعتبر تطوراً طبيعياً لنشأة الدّرس اللغوي، وأخذه سبيلاً للنمو والاتساع، وعلى هذا فلا يخرج مجهود سيبويه عن تسجيل ما كان يدور بين العلماء في مجالسهم، وفي حلقات دروسهم من أفكار وآراء وشواهد ونصوص"[2] والمتفحص لهذا الكتاب يجد أنّ جهود سيبويه بيّنة واضحة لا يستطيع أياً كان نفيها، فالطريقة التي اتبعها في كتابه والأسلوب الذي أنتجه ينبئ عن مجهود علمي كبير لا مجال للتشكيك في قدراته، فهو يعبر عن نمط جديد يكاد يكون الأول من نوعه، ومن جهة أخرى فإنّ المادة العلمية التي يحتويها هذا الكتاب تصور

[1]– ينظر: شرح الأشموني لألفية ابن مالك، عبد الحميد السيد، المكتبة الأزهرية للتراث، كليّة الآداب بقنا، جامعة أسيوط، مصر، ج1، ص: 14.

[2]– طبقات النحويين واللغويين، الزبيدي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط1، 1945، ص: 49.

جانب آخر من المجهود الذي كان لا بد منه، لكي يظهر الكتاب في شكله الذي نراه على النحو الذي وضع عليه، رغم ما نجده في كتابه من 900 رأي لعلماء لغويين سابقين، كما نجد نحو 400 آية قرآنية أحسن اختيارها للتّدليل على قواعد النحو، أو على طرق التعبير والأساليب اللغوية المتّبعة[1]...فلما بالغ سيبويه في كتابه بما أنتجه السابقون أثّر ذلك سلباً على مجهوداته الشخصية، ولكن هذا لا ينفي صعوبة المهمّة التي تتعلق بجمع وتصنيف المعارف ونسبتها لأهلها، ثم التخطيط لكيفية ترتيبها وتبويبها في أبواب وفصول في إطار خطة محددة دقيقة وثابتة، ثم معالجة هذه المعارف ومناقشتها بالحجّة والدّليل القاطع الذي يستند إلى سماع صحيح، مع بروز الشخصية سواءً أكانت موافقة أو معارضة، فهو بهذا يكون عملاً ثرياً ومجهوداً فكرياً قيّماً يستحق التقدير[2]. فلسيبويه الفضل الكبير في الانتقال بالدراسة النحوية من مرحلة المشافهة التي تتم عن طرق السماع، والحوار بين الأستاذ وطالبه إلى مرحلة التأليف المؤسس، ثمّ إن سيبويه لم يكتف بهذا المجهود المتعدد الجوانب، والمختلف المظاهر، وإنّما يتناول مع هذا زاوية لشخصية هامة تتمثل في العدد الضخم من الأمثلة اللغوية المروية بواسطته، أو التي صنعها بنفسه، مستدلاً بها على تثبيت قاعدة لغوية، أو رفض حكم لا يخضع للمبادئ العامة في قضايا النحو، ومسائل الصرف[3]، فسيبويه بصنيعة هذا جدير أن تكون له الأولوية، وأن يكون صاحب مدرسة باعتبار أنّ الكثير ممن اطلعوا على كتابه أشادوا به وأجمعوا على أنّ له مذهب خاص

[1]- ينظر: المرجع السابق، ص: 51.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3]- ينظر: المرجع نفسه ، ص: 100.

به في النحو يستحق منا المراجعة، والقراءة والاهتمام مثلما فعل اليهود في الأندلس الذين نقلوا هذا الكتاب إلى العبرية ليكون المصدر الرئيسي الذي يستندون عليه في تقعيد قواعد لغتهم العبرية[1].

مكانة الكتاب لسيبويه:

لقد عكف الكثير من العلماء الباحثين والدّارسين في شتى البلدان العربية على دراسة كتاب سيبويه ومراجعته وتحليل قواعده وتوضيح أمثلته وشواهده، فحاولوا الإلمام بكل تفاصيله ولم يتركوا أي شاردة ولا واردة تفوتهم إلا وبحثوا فيها، فأصبح هذا الكتاب مشاعاً بين الناس وحصل على اهتمام العلماء وأصبح في نظرهم " أشبه شيء بالنّبع الغزير، وكل ما نشأ من حوله ومن بعده من علوم لغوية يشبه الدّوامة التي تستمد منه مياهها لتسير فيما رسمه لها العلماء من اتجاهات فهو مستودع كبير للتّراكيب العربية والاصطلاحات اللغوية والشواهد الأدبية وكنز عظيم للأمثلة النحوية والصرفية، يجد فيه علماء النحو والصرف قديماً وحديثاً ما هم في حاجة إليه لشرح قواعدهم والاستدلال على ما يقررون"[2]، أي أنّ كتاب سيبويه جاء شاملاً لكل ما يتعلق بالدّرس اللغوي النحوي وبما حواه من تراكيب وصيغ واصطلاحات وأدلّة وحجج وشواهد أدبية، فكانت موسوعته ثريّة جداً تستحق منا كل التّقدير والتّعظيم، لذا فقد حضي الكتاب بمكانة كبيرة، ونال إعجاب الكثير من العلماء فكانوا يطلقون عليه أسامي وأقوال تدل على عظم مكانته، فيقال له قرآن النحو، ويقال لمن هو مقبل على

[1]– ينظر: تطور الدّرس النحوي، حسن عون، ص: 50.

[2]– المرجع نفسه ، ص: 53.

قراءاته، هل ركبت البحر؟ فانكبّ العلماء عليه دراسةً وتفصيلاً،و كرّسوا جهودهم لأجل خدمة هذا الكتاب والاستفادة منه.

ولعل ما يشير إلى المنزلة المرموقة التي يحتلّها هذا الكتاب عدد العلماء الذين اتخذوه منهجاً وسبيلاً في دراساتهم، وأبحاثهم معلقين عليه من جهة، وشارحين نصوصه من جهة أخرى، محلّلين لقواعده من جهة، مستنبطين لها من جهة أخرى"، فعدد العلماء الّذين فتنوا بكتاب سيبويه وتخصّصوا فيه دراسةً وتأليفاً يقرب مائة عالم في سائر الأقطار العربية المختلفة، وأهم هذه الأقطار في تقديم أكبر عدد من أولئك العلماء، هي بيئة الأندلس والمغرب، إذ وجد هناك ما يزيد على الأربعين عالماً[1].

وكثير ممن لم يكتفوا بكتاب واحد عن هذا الكتاب باختلاف موضوعاته فوجدت العديد من المؤلفات التي حاولت توضيح ما استغلق فهمه، مثل المبرّد الذي قرأ هذا الكتاب قراءةً جادةً ودقيقةً وعلي الجرمي، ثم المازني الذي اتخذ من مسائله موضوع بحث له ،فألّف خمسة كتب وهي: المدخل إلى سيبويه، وكتاب الرّد على سيبويه، وكتاب الزّيادة المنتزعة من سيبويه، وكتاب شرح شواهد سيبويه وكتاب المعنى لسيبويه، كذلك أبي بكر الذي له كتابان أوّلهما: شرح كتاب سيبويه، والآخر شواهد كتاب سيبويه[2].

[1]– المرجع السابق، ص: 53.

[2]– ينظر، المرجع نفسه ، ص: 53.

وربما كان تعظيم العلماء والمفكرين لكتاب سيبويه سبباً في جمود حركة الفكر، فتجمّدت بذلك العقول عن الاجتهاد والإتيان بمثله" فقد جنى كتاب سيبويه على النحو والنحاة، وحرمنا من ثمرة طيبة كنا ننتظرها بشغف من جانب هؤلاء العلماء الذين كرّسوا وقتهم وجهدهم الذهني، ونشاطهم العقلي للعمل الجاد المتواصل في حقل النحو ومباحثه، والإنتاج فيه"[1]. فقد كنا ننتظر تخليص النحو مما يحتويه من قواعد وأحكام افتراضية يغلب عليها التّجريد، مثلما ورد في كتاب سيبويه في باب الاشتغال وكذلك النظر من جديد في الكلمة وأقسامها وقضية الفعل وارتباطه بالزمن فلا يسيروا في فلك سيبويه لأنّ في مقدورهم معالجة هذه القضايا وغيرها باعتبار أنّ الدّرس النحوي كان لا يزال في ريعان شبابه فكانت مكانة سيبويه والأهميّة التي نالها السّبب الرّئيسي في اقتناع العلماء بكتاب سيبويه والإشادة به فنقصت بذلك اجتهاداتهم وانتقاداتهم، لذا فكتاب سيبويه قد شغل فراغ الدّراسات النحوية من كل جوانبها، ذلك أنّ العلماء قد استقرّ في فكرهم أنّ هذا الكتاب جاء جامعاً مانعاً لكل ما يتعلق بالدّرس النحوي، ملماً بكل صغيرة وكبيرة، ولم تفته لا شاردة ولا واردة إلا وأحصاها، وهذا كله جعل الشّك يتسلل إلى أنفس هؤلاء بأنّه ليس في الإمكان أبدع مما كان[2].

[1]- تطور الدّرس النحوي، حسن عون، ص: 56-57.

[2]- ينظر: المرجع نفسه ، ص: 57-58-59.

فاختصرت جهودهم في محاولة فهم النحو من منظور سيبويه، أما عن آرائهم الشخصية فانحصرت في بعض الملاحظات التي اقتصرت على الشّكل، أما المضمون فظل على حاله، وهكذا بقي العلماء يلتفون في دوامة كتاب سيبويه درساً وفحصاً و تمحيصاً[1].

صحيح أنّه كان لكتاب سيبويه فضل كبير على النحو العربي وعلى علمائه أنفسهم، لكن ليس هناك ما يثبت أنّ سيبويه صّرح، أو أجبر العلماء بعده أن يتّبعوه في مذهبه الذي سلكه، بل بقيت دائرة البحث بعده مستمرة ومفتوحة للجميع، فكتابه ليس قرآن لا يشك في صحّته، أو في مدى ثقته مادام أنّه كتاب لغوي نحوي أتى به بشر، قابل للنقد والتصحيح، وخير دليل على ذلك ما جاء به المبرّد في كتابه المقتضب، حيث ناقض أراء عديدة لسيبويه وأتى بغيرها، فالعقل البشري لا يتوقف عند كتاب معين أو إنسان معين مادام هناك تفكير.

وهكذا امتدّ أثر الكتاب لسيبويه إلى مصنّفات النحوية والصرفية، وامتد حتّى إلى العلماء أنفسهم فكانت مادة هذا الكتاب مثل مستودع كبير، ومنبع غزير يتناسب مع عمل كل واحد منهم فاستحوذ على اهتمام كل العلماء، وسيطر على تفكيرهم، ونشاطاتهم وحاز على انشغالاتهم.

[1]- ينظر: المرجع السابق ، ص: 60.

كتاب المقتضب للمبرد:

يعتبر المبرّد الشخصيّة الثانية في التأليف النحوي بعد سيبويه حتى وإن سبقه مؤلفون كثر، إلاّ أنّ المبّرد كان أبرزهم، فكان كتابه المقتضب نقلة أخرى للنحو العربي حتى وإن لم تكن بقيمة نقلة سيبويه. كبر هذا العالم وترعرع في البصرة، تتلمذ على يد أهم علمائها وقرأ الكتاب لسيبويه، فلماّ أعجب المازني بفطنة المبرّد، وذكائه ومهارته وفهمه للكتاب سماه بالمبرِّد أي الشافي، وهناك أقاويل أخرى حول هذا اللقب[1].

لقد كان لكتاب سيبويه التّأثير البالغ على المبرّد، فكان المبرّد من أهم الذين أشادوا بكتاب سيبويه، فكان يشبّهه بالبحر لعظمة هذا الكتاب وعظمة مؤلفه، لكن هذا لا يمنع أنّ المبرّد قد ناقض سيبويه في الكثير من القضايا النحوية، فكانت له تبريراته الخاصة وتعليلاته المميّزة التي تعكس شخصيته المستقلّة، وله كتب عديدة ومختلفة منها: مسائل الغلط التي آخذ فيها سيبويه، وكتاب الزّيادة المنتزعة من كتاب سيبويه، وتثبت بعض الرّوايات أنّ المبرّد تراجع عن هذه المؤاخذات التي أخذها عن كتاب سيبويه[2].

[1]- ينظر: النحو العربي ومناهج التأليف والتحليل، شعبان عوض محمد العبيدي، ص: 197-198.
[2]- ينظر: المرجع نفسه ، ص: 199.

فقد جاء عن ابن جني في كتابه الخصائص أنّه" من الشائع في الرّجوع عنه من المذاهب ما كان أبو العباس تتبع به كلام سيبويه وسماه ـ مسائل الغلط ـ فحدّثني أبو بكر عن أبي بكر بن السرّاج أنّ أبا بكر كان يعتذر منه ويقول: هذا شيء كنا رأيناه في أيام الحداثة فأما الآن فلا "[1].

ويذكر ابن الجني أيضاً من مؤلفاته ما نسب عدنان وقحطان، وما اتّفق لفظه واختلف معناه في القرآن المجيد، وكتاب الفاصل والكامل، وكتاب المقتضب في النحو، وكتب أخرى منها الاشتقاق، وكتاب معاني القرآن، وكتاب التّصريف، والمدخل إلى سيبويه...وغيرها[2].

لقد كان المبرّد بصرياً ينتمي إلى مدرسة البصرة، لكننا نجده أحياناً قد وافق أهل الكوفة في بعض أرائهم، وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدل على الروح العلمية عند المبرّد واستقلاليته بآرائه الشخصية.

لا يمكن تجاهل أو نكران تطور الدّرس النحوي بعد سيبويه في مدرسته التي تكونت حول كتابه وعلى يد تلامذته، وباعتبار أنّ هذا التّطور كان في الشّكل فقط لا في الجوهر، وعبارة عن تطور في نظام التّأليف لا في موضوع التّأليف، تطوراً في أسلوب معالجة القضايا لا في القضايا نفسها، فهو محدود وضئيل بالنسبة إلى النحو، وقد استمرت من أواخر القرن الثاني إلى أوائل القرن الخامس الهجري، وهذا كثير بالنسبة لحياة المدارس النحوية في عهود النضج اللغوي والتطور اللغوي[3]، "فقد

---

[1]– الخصائص، ابن جني، تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصريّة، مصر، ج1، ط1، ص: 206.

[2]– المدارس النحوية، شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط7، ص: 24.

[3]– ينظر: تطور الدّرس النحوي، حسن عون، ص: 62.

بقيت المادة النحوية التي تصوّرها سيبويه وكوّنها أو جمعها للاستعمالات اللغوية الصحيحة المستقرّة في عصره وقبل عصره، كما هي دون تغيير يذكر أو جديد يضاف رغم الإمكانات المتاحة بالنّسبة لمتن اللغة وصيغها وتعبيراتها، فلم نجد واحداً من النحاة في هذه الفترة الطويلة يجرؤ بعقلية متحررة من تلك التبعية المسرفة..."[1]، بمعنى ذلك أنّ النحاة في هذه الفترة لم يجرؤا على المخالفة في الرأي إلا في أضيق الحدود، فلم يكن ذلك ضعفاً منهم أو نقصاً بل كان اقتناعاً بأنّ النحو وصل إلى الغاية المنشودة، فقد تصدّر إلى شرح كتابه بعض العلماء كما سبق الذّكر لشرح ما فيه من شواهد وأحكام كصنيع المبرّد ومحمد بن علي إسماعيل، وأبا الحسن علي بن عيسى بن علي بن عبد الله النحوي...إلخ، ورغم ذلك كلّه لم يمنع الدّرس النحوي من أن يحظى بنقلة جديدة وبتغيرات عديدة تتصل بالشّكل أكثر من اتصالها بالمادة أو المضمون بالإضافات أو التّغيرات التي أضيفت بعد سيبويه، يمكن أن نعتبرها مظاهر للتّطور في الدّرس النحوي[2].

ما اختلف فيه سيبويه والمبرد:

إنّ قارئ المقتضب يلاحظ أن المبرّد يهتم جداً بتصنيف المعاني الماثلة في ذهن المتكلم وتصوراته، واضعاً الصّيغ اللغوية المعبّرة عن هذه المعاني في الدّرجة الأولى، على عكس سيبويه الذي اهتم في كتابه

[1]- المرجع السابق، ص: 62-63.

[2]- ينظر: المرجع نفسه ، ص: 63-64.

بتصنيف القوالب اللغوية المشتركة في الظواهر النحوية، والخصائص التّركيبية، تاركاً أمر المعنى، وأمر الحكم النحوي في أغلب الأحيان إلى عملية الاستنباط والاستنتاج[1].

كثيراً ما نقرأ في كتاب المبرّد عبارة:" اعلم أنّك إذا أردت كذا كان الأمر كذا" وعبارة أخرى بنفس المعنى. أما سيبويه فيقدم لمادته في كثير من الأحيان هذه العبارة :" تقول العرب كذا، أو يقول الله عز وجل كذا"، ويمضي في ذكر النصوص اللغوية المشتركة في خاصة لغوية أو ظاهرة نحوية.

فقارئ المقتضب يحس إحساساً قوياً بمحاولة جادة ومجهود مبذول من طرف المبرّد لأجل استخلاص القاعة النحوية والتّركيز عليها وإبراز كيانها بعد إزالة ما يحجبها من أغلفة وأستار في ثنايا المادة اللغوية التي كانت تغرقها وتمسك بتلابيبها لدى سيبويه، كما يدرك متفحص المقتضب ظهور بواكير المصطلحات النحوية المصقولة والصياغات العلمية المتطورة التي احتلت مكان المصطلحات الفجّة والتعبيرات البدائية وطريقة اللّف والدوران حول شرح الفكرة وتوضيح الملاحظة وبيان المقصود في كتاب سيبويه[2].

نجد في المقتضب بوادر جديدة لم يكن لها وجود صريح أو مقصود عند سيبويه، تلك هي بوادر التفصيل والتشقيق والتفريع في المسائل النحوية ثمّ محاولة تجميع هذه المسائل في طوائف متشابهة يجمع بينها موضوعاً وتأليفاً خيط واحد، فيقضى على ظاهرة الاستطراد المعهودة والمألوفة عند سيبويه، كما

[1]– المرجع السابق ، ص: 68.

[2]– ينظر: المرجع نفسه ، ص: 69.

نجد أنّ المبرد يتجه دون التواء إلى الحديث عن الملاحظ أو القواعد النحوية بدلا من توجيهه إلى النصوص اللغوية نفسها، وإلى ما تشتمل عليه من خصائص وأسرار، وهنا يزداد إحساس القارئ بأنّه يدرس قاعدة أو حكماً نحوياً يكاد يكون مجرداً عن المادة اللغوية، وقد استلزم ذلك وجود نوع من التعليل لهذه الأحكام يظهر فيه أثـ العقل وأثر المجهود الذهني، فكثيراً ما يصرح المبرد بكلمة ــوالاحتجاج لذلكــ في حين أنّ المعهود لدى سيبويه حينما تواتيه فرصة التعليل وبيان للأسباب، أن يعتمد أساساً على كثرة الاستعمال اللغوي، وذكر المأثور منهن أو على شهرة لهجة دون أخرى، أو التثبت من رواية على حساب غيرها[1]، هذا وفي حقيقة الأمر أنّ لكتاب المقتضب دليل واضح رغم هذه المفروقات الشّكلية على مدى تبعية المبرّد لسيبويه في المادة النحوية، وما تشتمله من قضايا وأحكام، فأغلب المسائل النحوية في المقتضب ترجع إلى أصولها في كتاب سيبويه حتى بدت كأنّها منقولة منه نصاً فضلاً عمّا ورد فيها من أمثلة وشواهد لغوية.

[1]– ينظر: المرجع السابق، ص: 69.

كتاب المفصّل للزمخشري:

إنّ الفترة الممتدّة من سيبويه إلى الزمخشري تعتبر العصر الذهبي للدّراسات اللغوية، ثبتت أصولها وتشعبت مجالاتها حتى شملت تقريباً كل شيء يتّصل بالكلمة اللغوية: أصلها، معناها أصواتها، بنيتها شكلها، دلالتها...الخ، ولم يكن ذلك عن طريق اللمحة السريعة كما كان شأن هذه المعارف لدى سيبويه، وإنّما كان عن طريق التّخصص والتّوسع، والإنتاج الغزير ممّا جعل ثراء المباحث اللغوية في هذه الفترة بالنسبة لعربية لا يقارن بما صنع حول أيّة لغة أخرى، فقد سمّيت هذه الفترة بفترة الموسوعات نتيجةً للتّغيير الشامل التي ظفرت به الحياة الاجتماعية في هذه الفترة سياسياً، واقتصاديا، وثقافياً، وقد تلتها فترة الشروح والتعليقات، حيث أنّ أضواء هذه الفترة لم تسلط على هيكل النحو كما سلطت على المباحث اللغوية الأخرى التي تخدمه، وتدعمه وتشدّ من أزره، فبقى تقريباً على عهدنا به لدى سيبويه حتى جاء الزمخشري فتمرّد عليه وجدد فيه، وعمل في مباحثه ما يشبه عملية الهدم والبناء، فقد كان الزمخشري فريداً من نوعه في اتجاهه هذا من بين معاصريه الّذين كانوا يحترمون القديم، ويتمسكون به ويحرصون عليه[1].

ومن أجل ذلك ساغ لنا أن نقول:" إنّ الزمخشري صاحب مدرسة نحوية جديدة، وإنّ هذه المدرسة كانت بالغة التّأثير في الدّرس النحوي، إنّها استطاعت أن تحل محل مدرسة سيبويه في الأوساط

[1]- ينظر: المرجع السابق، ص: 80-81.

العلمية، ومن أجل ذلك أيضا ساغ لنا أن نعدّل من تسمية المدارس النحوية بأسماء أماكنها إلى تسميتها بأسماء أصحابها وأئمتها"[1].

ما جدّ على الدرس النحوي أيام الزمخشري:

لقد رأى الزمخشري أنّ أهم قضية في النحو لمن أرادوا الإلمام بالمادة النحوية هي قضية: اللفظ المفرد والتركيب اللغوي، فعالج هذه القضية مستقلةً لحالها وأعطى اسماً في مؤلف صغير بعنوان " المفرد والمؤلف " ويمكن أن نعتبر هذا الأخير بمثابة مقدّمة للدّرس النحوي المفصّل، ثمّ انطلق إلى فكرة جمع المادة النحوية على نسق لم يسبق له من قبل من خلال تنقية الدّرس النحوي من كل ما يشوبه من خلط وتكرار، ويجعله نصاً في مادته سهلاً في متناوله واضحاً في سيره مستقيماً في منهجه...ومن خلال ذلك كلّه ألّف كتابه" المفصّل" الذي جمع فيه المادة النحوية على نسق مغاير لما سبقوه، حيث حصر مادة النحو في أربعة أقسام رئيسية هي: الأفعال والأسماء والحروف والمشترك، وعالج كل فرع على حدّه، ألّف ذلك دون أن يكون متأثراً بنظرية العامل، ولا بالمعمول، ولا بالفصل بين قضايا النحو وقضايا الصرف، فقد حسم الزمخشري موقفه ولم يدخل في اعتباره أيّة واحدة من هذه النظريات الثلاثة[2].

[1]- المرجع السابق ، ص: 81-82.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص: 83-84.

نظر الزمخشري إلى النحو نظرةً عامةً لكل الأحكام التي تتصل بالكلمة من حيث بنيتها وشكلها ووظيفتها في التّركيب اللغوي، وألّف من خلاله كتابه ـ المفصّل ـ وهذا هو عمله الأصيل، فقد كان بارزاً من خلال كل ذلك في صور متعددة، ووفق منهج محدد في جل مواضيع التّصنيف النحوي، وفي إخضاعه المادة النحوية له، فقد تبيّن مدى التّطور الذي أدرك التّصنيف النحوي على يديه، هذا التّطور الذي تناول التخطيط للدّرس النحوي، والتّصنيف على أساسه، أكثر من تناوله للمادة النحوية نفسها من حيث ما تشتمل عليه من قضايا وأحكام[1].

وهكذا تطور الدّرس النحوي في أيّام الزمخشري بصورة واضحة، فاستطاع من خلال ممارسته للدّراسات النحوية أن يؤسس مدرسةً نحويةً جديدة لها أصالتها ولها منهجها ولها طلابها...وهكذا ستطاعت أن تزهر بشخصيتها على المجتمع، وتمكّنت من أن تفرض نفسها على البيئات العلميّة بعد وفاته، فكان موضوع الدّرس فيها مؤلفاته على رأسها" المفصّل" الذي اعتبر من خلال طريقة معالجته للقضايا النحوية أروع كتاب ظهر بعد كتاب سيبويه.

وهكذا حلّ كتاب المفصّل في الأوساط اللغوية أثناء القرن السادس والسابع من الهجرة محل كتاب سيبويه في القرون السابقة على الزمخشري، فيكفي أن نطّلع على الآثار اللغوية والنحوية المؤلفة من خلال هذين القرنين، وأن نرصد المواطن التي يذكر فيها الزمخشري ومؤلفاته، وآرائه من هذه المؤلفات لنعلم مبلغ تأثيره على هؤلاء العلماء والباحثين، والمؤلفين الذين كانوا يدورون في فلك

[1]– ينظر: المرجع السابق ، ص: 88.

الزمخشري، ويستوضحون ما يحتاج منها إلى إيضاح، ويفصّلون ما جاء فيها مركّزاً، ويستدلون بآرائها على سلامة ما يصنعون، فقد تأثر به كثيراً من العلماء واتبعوه في جل الشكليات والتفصيلات والاسترسال في قضاياه النحوية ومسائله ونظرياته وتعليلاته وتطبيقاته النحوية...إضافةً إلى ما سبق ذكره نضيف إلى ذلك موقفه من قضية نحوية هامة لا تتصل بمنهج الدرس النحوي، ولا بالقضايا النحوية، ولا بالطريقة لمعالجة هذه القضية، ولكنّها تتصل بالنص اللغوي وصلة الدّرس النحوي بها من حيث المعنى أو الدلالة هذه القضية عولجت في بعض المصنّفات القديمة كقضية مستقلّة، حيث كانت بدورها تشغل بال جل الباحثين في صمت منذ عصر سيبويه حتى أيام الزمخشري،" ويمكن أن توضع هذه القضية في صيغة هذا السؤال: هل تصورنا للنحو يمتدّ إلى الدلالة اللغوية في الجملة أو التركيب؟ وبمعنى آخر هل من وظيفة النحو أن يتناول المعاني البيانية للنص اللغوي كما يتناول الأشكال الإعرابية، أم أنّه قاصر على النظر في الأشكال المختلفة على أواخر الكلمات في النص اللغوي؟"[1]

كما سبق الذكر فقد كانت هذه القضيّة تعالج كقضية مستقلة في بعض المؤلفات القديمة فكانت تُبحث، وتعالج ضمن قضايا لغوية متعددة، وقضايا نحوية مختلفة دون أن تتبين فكرة المؤلفين في حقيقتها، ولا عن وضعها بالنسبة للمباحث النحوية وعلى سبيل المثال نذكر من بين الذين عالجوها: أبو عبيدة في كتابه . مجاز القرآن . وكذلك عالجها الفرّاء في كتابه'معاني القرآن' أيضاً عالجها الشيخ عبد القاهر الجرجاني في كتابه 'إعجاز القرآن'...وغيرها من الكتب، فقد كان للزمخشري موقف

[1]– المرجع السابق، ص: 92.

واضح من هذه القضيّة، ولكنّه لم يكن صريحاً في ذلك، بمعنى أنّه لم يتعرض لها في مؤلفاته، ولم يعالجها لا سلباً ولا إيجاباً، فلم يذكرها في المفصّل، لأنّه يصور النحو على أنّه يقوم أساساً على النظر في المفرد وأما النموذج فهو بعيداً تماماً عن هذه القضيّة أيضاُ. ذلك أنّه اختصار لما جاء في المفصّل من أحكام نحوية وصرفية[1].

فلا يبدو غريباً أن يكون المفصل على هذه الدّرجة من التّقدير، فهو الذي لم يكلف الزمخشري في تأليفه أكثر من سنة وأربعين شهراً (من غرّة رمضان سنة 513 إلى غرّة المحرم سنة 515) وهذا لدليل على أنّ المادة النحوية كانت معروفة لديه، وماثلة في تصوره بأبعادها وتفاصيلها، فلم يكن أمامه سوى وضع المنهج وتوزيع المادة، وكذلك دليل على أنّ المفصّل كان يحيط بظروف وملابسات تشبه نفس الظروف والملابسات التي أحاطت بكتاب سيبويه[2]، فلم يقف تأثير المفصّل بمادته ومنهجه لقضايا النحو عند نحاة عصره،"بل امتد كذلك إلى من جاءوا بعده وحتى عصرنا الحديث"[3]، ولهذا يعود تقييم الكتاب إلى تقييم صاحبه لارتباطه به، ولعل أبرز ما يصوّر شخصيّة الزمخشري كعالم لغوي هو اتّصافه بالاجتهاد في النحو، وقد ظهر هذا الاجتهاد في كثير من المسائل النحوية.

[1]- ينظر: المرجع السابق، ص: 95-96-97.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص: 99-100.

[3]- المرجع نفسه، ص: 102.

عيوب كتب النحو:

* الاضطراب:

لقد شاعت هذه الظاهرة في كتب الأقدمين لغياب التخطيط الدّقيق والتّنظيم العلمي وانعدام خطّة مؤسسة واضحة المعالم يبنى عليها الكتاب وفي كتاب سيبويه يظهر هذا الأمر بوضوح باعتبار أنّه لم يحدد خطّة معينة يسير عليها طوال تأليفه لهذا الكتاب، فهو لم يراع ترتيب أبواب كتابه فيقدّم أبواب وجب تأخيرها والعكس صحيح. فانعكس هذا الشيء سلبا على بعض عناوين أبوابه وطولها وغياب الدّقة عنها في بعض الأحيان[1].

أما المبرّد في كتابه المقتضب رغم حرصه الشّديد على الدّقة في طرح قواعده النحوية إلاّ أنّ هذا لم ينف الاضطرابات في كتابه، كما لا يزال الغموض يشوب بعض عناوين كتابه وكذلك انعدم التوافق بين العنوان وما يحتويه[2].

أما الزمخشري فقد حاول الوصول إلى خطّة علمية دقيقة في كتابه المفصل حيث قسّمه إلى أربعة أقسام، وقد ظهر مقتنعاً بتقسيماته حينما قال :"وقد صنفت كلا من هذه الأقسام تصنيفاً وفصلت كل صنف منها تفصيلاً حتى رجع كل شيء في نصابه واستقرّ في مركزه"[3] لكنّ هذه البساطة في

---

[1]- ينظر: إصلاح النحو، دراسة نقديّة، عبد الوارث مبروك سعيد، دار العلم للنشر والتوزيع، الكويت، ط1، 1406-1985، ص: 23.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص: 25.

[3]- المرجع نفسه، ص: 25.

التّصنيف كان لها انعكاس سلبي على التراكيب النحوية نظراً لصعوبة تصنيف جملة التراكيب النحوية في تأليف كهذا لأنّه يقوم بتشتيتها ثم دراستها منفردة، فغلبت عليه صيغة الضعف والتكرار والخلط[1].

***التّطويل :**

لم تسلم الكثير من المؤلفات النحوية من الطول والإطناب والاستطراد ويرجع ذلك لأسباب مختلفة على رأسها عرض مطول لمجريات المناقشات والمناظرات وتكثير التقسيمات وتقصّي السقطات والمثالب لإبراز نقاط الفرق والتّفوق، ونجد هذه الظاهرة تبرر وبشكل جلي في الشروحات والحواشي والتقارير على عكس الكتب الحديثة التي مالت إلى الاختصار[2].

***التواء اللغة وجمودها:**

مما هو ملاحظ على لغة الكتب النحوية القديمة أنّها غامضة ومعقّدة لا يدرك معانيها إلا باحث ملم بخبايا التّراث العربي القديم، فلكل مؤلف الحق أن تكون له لغته الخاصة وبصمته المتميزة، لكننا نجد أنّ هذا الأمر قد طغى كلّيةً على لغة القدماء، كلغة كتاب سيبويه ولغة المتون ولغة بعض الحواشي...وغيرها[3].

[1]- ينظر: المرجع السابق، الصفحة نفسها.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص: 27.

[3]- ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

***الجفاف:**

نظراً للتكرارات المتوالية للأمثلة التي صنعت وكأنّها خاصة بتلك القواعد النحوية، والتي بالغ أصحابها إلى درجة كبيرة في التجريد، فقد حبست ملكة المتعلمين على الإتيان بالجديد لإيمانهم المنقطع بأنّ ذلك المثال هو لتلك القاعدة وفقط، فإن طلب منه تطبيق تلك القاعدة على غير هذا المثال عجز وسكت[1].

مناهج التأليف النحوي:

يعتبر المنهج أساس التّأليف حيث يرى عبد الصبور شاهين:" المنهج في أبسط معانيه هو الخيط الذي يتّخذه المؤلف معين لسلك فيه موضوعات تفكيره أو دراسته، ويراد بكلمة المنهج علمياً: الخطة التي اتبعها مؤلف الكتاب في علاج المشكلة التي اختارها موضوعاً لها وقيامها على أساس المنطق والاستقراء...[2]، أي الطريق الذي يسلكه في علاج جزئيات الدّراسة في تقديم المادة وتوضيح الشروحات وهذه المهمّة ليست سهلة لكثرة النقد الموجه للمؤلفين والطعن في هذه الكتب والمؤلفات والتّشكيك في صحّتها ونسبتها إلى أصحابها ومن مناهج التأليف مايلي:

[1]- ينظر: المرجع السابق، ص: 28.

[2]- ينظر: مناهج التأليف النحوي، كريم حسين الخالدي، ص: 11.

1/ المنهج الفطري الوصفي:

وهو منهج يقوم على التفسير والوصف؛ أي يقوم على وصف لغة أو لهجة من اللهجات في مختلف مستوياتها، من الناحية الصوتية ومقاطعها وأبنيتها ومدلولاتها وصيغ تركيبها وألفاظها. وهذا يدل على أنّ النحاة العرب درسوا لغتهم على أساس هذا المنهج فصنّفوا مادتهم على أساس وصفي حتى القرن الثالث الهجري حيث تمسك اللغويون بهذا المنهج في دراسة اللغة، فنجد موقف الخليل وسيبويه ومن والاهم في زمنهم من السماع والقياس والتقدير والتأويل، والعامل والتعليل، ونحو ذلك كان موقف وصف.[1]

كما يهتم المنهج الوصفي بدراسة اللغة المنطوقة وكذلك المكتوبة لأنّ الدّراسات اللغوية القديمة تعتمد على النصوص المكتوبة التي وصلتنا من شعر ونثر، فوجدت العديد من الدّراسات المبنيّة على أساس الأبنية الصرفية وبناء الجمل والمعاني وخصائص التركيب النحوي للجملة مع مراعاة المعنى والدلالة.[2]

ويتضح المنهج الوصفي الفطري بوضوح أكثر في تأمل النصوص وتحليلها، مثل قولهم:" من جواز الرّفع في هذا الباب أني سمعت رجلين من العرب عربيين يقولان: كان عبد الله حسبك به رجلاً، أو قوله وجميع ما وصفناه من هذه اللغات سمعناه عن الخليل ويونس عن العرب".[1]

---

[1]– ينظر: الدراسات اللغوية عند العرب حتى نهاية القرن الثالث الهجري، محمد حسين آل ياسين، ص: 375.

[2]– ينظر: منهج البحث اللغوي، محمد سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية ،الكويت، ط1، 2003، ص: 117.

فالمنهج الوصفي يقوم على الملاحظة والتحليل وما سمع عن العرب مشافهةً أو روايةً عمن يصح كلامهم.

وقد كان للاستقراء نصيب في أسس التقعيد الذي تجري فيه الملاحظة والتّقسيم والاصطلاح عليها سمية أقسامها ومفهوماتها، ووضع القواعد التي تشترك بين المفردات والوحدات النحوية والصرفية والصوتية والمعجمية.[2]

المنهج العقلي:

تبلورت مفاهيم هذا المنهج في مؤلفات النحاة من مصطلحات ومفاهيم وأساليب، فلا يسلك مسلكاً فلسفياً بل هو منهج عقلي أفاد من العلوم الأخرى واختلفت تسمياته فيطلق عليه المنهج المعياري والتعليلي وهناك من سماه بالمنهج الفلسفي لأنّه ذو صبغة عقلية.[3]

وتتضح سمات هذا النهج من خلال البحث في ثنايا المؤلفات النحوية ويعرف من خلال مايلي:

-الثقافة النحوية والدينية أو العلمية التي تغلب عليها المعارف الدّينية والفلسفية والمنطقية والكلامية والفقهية.

---

[1]- مناهج التأليف النحوي، كريم حسين الخالدي، ص: 39-40.

[2]- اللغة بين الوصفية والمعيارية، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط4، 2000، ص: 167.

[3]- ينظر: مناهج التأليف النحوي، كريم حسين الخالدي، ص: 80-81.

-الانتماء المذهبي والفكري الذي يفرض التّمسك بالمعتقد.

-ثقافة المجتمع التي تسودها تيارات مذهبية من مساجد ومدارس وحلقات تضفى عليها سلسلة من النقاشات المتعلقة بالتفسير أو الفلسفة أو المنطق.[1]

وقد كتب النحاة العرب طرائق تفكيرهم وكذلك ألفاظهم وأساليبهم، ومن ملامحه إتّباع أسلوب الجدل والحوار متأثرين بالمتكلمين والفقهاء مثل الزجاجي والسيوطي، وكذلك العناية بالحدود التي ضمنها سيبويه كتابه وكذلك الزجاجي، وأيضا الإهتمام بأوجه الخلاف والآراء بين أهل البلدين[2] وكذلك شيوع التعليل تأثراً بالمنطق اليوناني، حيث يقول عبد الفتّاح إسماعيل:" ومازال النحو مجنوناً حتى عقّله بن السراج وتوسع في فلسفة النحو أو التعليل لمسائله، وذلك أثر من آثار اصطباغ حياة العملية للصبغة الفلسفية وذيوع مناهج المتكلمين والمناطقة من النحاة والباحثين"[3]. وكذلك ورود الألفاظ المنطقية بشيوع مصطلحات الفلاسفة والمناطقة والمتكلمين في شروح ومقدمات وكتب الأقدمين، ومن بين تلك الألفاظ: الأخص والأعم، الجزء والكل، الجوهر، الذاتيات، الانعكاس والماهية، العلة والمعلول...إلخ.[4]

---

[1]- ينظر: المرجع السابق، ص: 81-82.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص: 83،89،90.

[3]- المرجع نفسه ص: 98-99.

[4]- المرجع نفسه، ص: 105.

المنهج التعليمي:

ظهر هذا المنهج منذ ظهور النحو العربي لأسباب معينة نذكرها في حديثنا عن التّأليف التّعليمي في الفصل الثاني، وقد ارتبط ارتباطاً وثيقاً بالتّأليف والتّصنيف والتّحليل والشرح والتّعليل مما يلزم المؤلف النحوي بإضافة الشروحات والتّأويلات عن كل ما يتعلق بالمسائل النحوية، ومن مميزاته أنّه يقوم على وجود أسئلة بين طالب وعالم أو عالمين وهو ما يعرف بالمناظرات النحوية وتروي الكتب أن المتنبي أنشد سيف الدولة بقصيدة يقول فيها:

وَفَاؤُكُمَا كَالرُّبعِ أَشْجَاهُ طَاسِمَهُ بِأَنَّ شِعْرًا وَالدَّمْعُ(أَشْفَاهُ)سَاجِمَهُ.

وكان بن خالويه(ت:370هـ)[1]، حاضراً فقال للمتنبي تقول: أشفاه وهو شجاه؟ ظناً منه أنّه فعل، فرد عليه المتنبي وقال: اسكت هذا ليس من علمك إنما هو اسم لا فعل.[2]

وقد قصد بالتّأليف التّعليمي في تلك الفترة ما صنّف لتبيين الضوابط التي يستقيم بها اللسان، وقد اعتمدت مؤلفات النحو التّعليمي على مسلمات الدّرس النحوي من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وكلام العرب من شعر ونثر، أنتجت لنا كتب ثمينة خاصةً فيما يتعلق بكتب معاني وأعاريب

[1]– معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تصنيف أبي عبد الله الرومي الحموي، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط5، 1411هـ-1991م، ج3، ص: 101.

[2]– التأليف النحوي بين التعليم والتفسير، وضحة عبد الكريم جمعة العيان، ص: 207.

القرآن منها كتب للكسائي والفرّاء والأخفش والزجاج،[1] وتعددت موضوعات التّعليم للنحو العربي واختلفت طرقه وتصنيفاته سنتناولها في الفصل الثاني بإسهاب وشرح وتفصيل.

[1]– المرجع السابق ، الصفحة نفسها.

الفصل الثاني

تمــهيد:

لقد وصل الدّرس النحوي في اللّغة الأم إلى درجة كبرى من النضج والكمال ما لم يبلغه أي علم في تاريخ الفكر العربي، ونظرتنا نحن كباحثات في النحو العربي لا تقتصر على أنّه أحد علوم العربية فحسب، وإنّما هو دليل لصّواب ومؤشر مستوى التّفاهم بين الناطقين بالعربية، كما أنّه يمثل المعايير اللغوية التي تحفظ العربية من الانحراف نتيجةً لظهور اللحن، لأنّ اللغة –وكما هو معروف– أخذت سماعاً فقط ولم تعتمد على الكتابة، وهذا ما جعل الحكماء والفقهاء يضعون قواعد للغة بغرض حمايتها من الضياع، كما يجزم كثير من علماء العربيّة وممن يحترمون الفكر البشري أنّ نشأة كل العلوم العربية كانت نتيجة طبيعية لنضج العقلية العربية، ولهذا فالنحو يعدّ دعامة من بين هذه الدّعائم لعلوم اللغة العربية وركيزتها الأساسية[1]؛ لأنّ جل المشتغلين بالدّراسات الأدبية والنقدية...لا يستغنون عنه، حيث أنّ القدماء رأوا أنّه من الأدوات المهمّة التي يعتمد عليها العالم في تفسير أو تحليل أو استخراج الشرائع والأحكام، وقد عبّر عن ذلك أحد القدماء بقوله:" إنّ الأئمة من السلف والخلف أجمعوا قاطبة على أنّه شرط في رتبة الاجتهاد، وأنّ المجتهد لو جمع كل العلوم لم يبلغ رتبة الاجتهاد حتى يعلم النحو، فيعرف به المعاني التي لا سبيل لمعرفتها بغيره، فرتبة الاجتهاد متوقفة عليه ولا تتم إلا به..."[2]، ولما كان الأمر كذلك بذل العلماء جهوداً جبارة في محاولة الإلمام بأصوله وفروعه ن يبلغوا مرتبة الاجتهاد في أي مجال أو تخصص في علوم العربية لأجل خدمتها باعتبار أنّها لغة

[1]– ينظر: النحو التعليمي والتطبيقي في القرآن الكريم، محمود سليمان ياقوت، مكتبة المنار الإسلاميّة للنشر والتوزيع، ط1، 1996م، ص: 08-09.

[2]– المرجع نفسه، ص: 07.

القرآن المنزّل على صدر النّبي الكريم وعلى أمّته، فقد نالت عناية من علماء العربية إكراماً للغة وقرآنها، وفضل العربية هذا دفع اللغويين للعمل في تحليلها والتّصنيف في علومها، فقد نشأت لهذه العلوم مؤلفات كبيرة وجمّة شملت عدّة جوانب متنوعة ومختلفة.

وفي هذه الدّراسة سنتبين أو نتحدث عن التّآليف النحوية منذ نشأة النحو، فقد أقرّ الكثيرون بأنّ النحو العربي كان تنظيرياً بالمشكلة اللغوية، ومحاولة تفسيرها بالتّأويل أو التّقدير، وكذلك بأنّ النحاة لم يكن يسندهم سماع صحيح، ولذلك لم يقوموا باستقرار لكل نموذج نحوي من شعر أو نثر، وفي أغلب الأحيان وصفت جهود بعض العلماء بأنّها تعليمية مثل الزجاجي في كتابه"الجمل"واللمع لابن الجني وغيرها من المؤلفات، ولهذا أردنا الكشف عن جهود النحاة منذ أيام الإمام علي وتلميذه أبي الأسود، الذي اتّخذ من الكوفة عاصمة له"[1]، فلم يكن دافع أبي الأسود تكليفاً من علي ابن أبي طالب كرّم الله وجهه، فقد كان دافعاً شخصياً من تلقاء نفسه أوجده عنده وعليه بأبعاد قضية اللحن أو سماعه هذا اللحن على لسان ابنته(تختلف الروايات في حقيقة ذلك) ولا خلاف بين الناس على ربط القصّة كلّها بشخصية أبي الأسود، كما لا يختلفون حول نقط المصحف باعتباره الخطوة الأولى في رحلة النحو العربي، ولعل عبارة" فتح وكسر وضم" الفم يسرت خلق مصطلحات الفتحة والضمّة

2- التأليف النحوي بين التعليم التفسير، وضحة عبد الكريم جمعه الميعان، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، ط1، 2007م-1428هـ، ص: 11-12.

والكسرة الّتي تعد بالنسبة إلى أبي الأسود وأصحابه كشفاً هائلاً يقف في بناء صرح النحو العربي ولعل الدّليل القوي على ذلك أنّ النحو العربي بني كله على هذه الحركات[1]

لقد شهد الدّرس النحوي نشاطاً كبيراً في التّأليف النحوي خلال القرن الثاني والثالث هجري فقد تعددت جهود النحاة في هذه الفترة وتنوعت مناحي تأليفهم، فوجدنا الكثير من المؤلفات الّتي تعرض القواعد النحوية والصرفية، وأخرى اختصرت في الفصائل النحوية والصرفية، وكتب حروف المعاني...إلخ.

فالتّراث النحوي الذي رصدته الدّراسات في هذه الفترة يقارب الأربعين كتاباً، وهو تراث نعتز به وهو ما جعل الكثير من العلماء يحاولون الكشف عن الجهود النحوية في هذه الفترة ومدى تأثرها ووقوعها في الجانب التعليمي بصفة خاصة[2].

فسرعانما حول الموالي النحو العربي من منهج علمي إلى منهج تعليمي وبالسّعي إلى تحقيق الغاية التّعليمية وجدنا المؤدبين من النحاة يكتبون المختصرات منذ عهد الكسائي، ليجعلوا تعلم اللغة في متناول من شاء من الموالي والمولدين على حدٍ سواء. ونتيجةً لذلك وجدنا أنّ النحاة قد كيّفوا نحوهم وتفكيرهم النحوي بكيفيات هذه الظروف، فتحول النحو شيئاً فشيئاً إلى أداة تعليم، وانسحبت طبيعة التعليم من المختصرات إلى المطولات، فوجدنا مؤلفيها يسوقون القواعد ويشرحونها بعد عبارة:"

[1]- ينظر، الأصول دراسة ابستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب ، تمام حسان، ص: 21-22.

[2]- ينظر: التأليف النحوي بين التعليم والتفسير، وضحة عبد الكريم جمعه الميعان، ص: 12.

اعلم يا فتى " في كثيرٍ من الأحيان.[1] هكذا أدى نهوض الموالي إلى استكمال النحو خدمةً للغة تمرآن من جهة، ثم إنصافاً لبني جلدتهم من جهة أخرى إلى ازدهار الدّراسات النحوية من خلال إخضاعها للتّ بيق والانحراف بها إلى الطابع التعليمي. لكن هذا لا ينفي أنّ هذا الجانب لم يكن معروفاً عند العرب، فمن الدّلائل التي تشير إلى أنّ الغاية التعليمية للنحو لم تتّضح عند الموالي فحسب، وإنّما اتضحت في أذهان العرب أيضاً ومنهم أبو الأسود الدؤلي نفسه، "فقال ابن أبي سعد: حدثنا علي بن محمد الهاشمي قال: سمعت أبي يذكر، قال: كان بدء ما وضع أبو الأسود الدؤلي النحو أنّه مرّ به سعد – وكان رجلاً فارسياً قدّم البصرة مع أهله وكان يقود فرسه- فقال: مالك يا سعد/ ألا تركب، فقال: فرسي ضالع" فضحك به من حضره فقال فلو علمناهم الكلام؟ فوضع باب الفاعل والمفعول ولم يزد عليه"[2] مع أنّ الخطأ الذي في عبارة سعد لا صلة له بالفعل والمفعول، وأنّ الرّواية تبدو عليها المتعة، فهذه الصنعة دفعت إلى التفكير بهذه العوامل الموضوعية التي ساعدت حينئذ واتّجهت بالنحو إلى الطابع التعليمي.

فالنحو منذ القرن الأول بدأ يحدد لنفسه منهجا، ويجرد أصولاً ويجند جنوداً متخصّصين يفرقون بين طابع عملهم النحوي وطابع عمل اللغويين.

لقد نشّط أو شجّع سيبويه حركة التّأليف النحوي من خلال كتابه، والمعروف عنه أنّه أول عمل علمي وصل إلينا في تاريخ النحو العربي ناضجاً في تأليفه، مكتملاً في تحليله اللغوي، شاملاً للأسس

[1]- ينظر، الأصول دراسة ابستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، تمام حسان، ص: 28.

[2]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

التي يعتمد عليها الباحثون والدّارسون في معرفة القواعد النحوية، ومن جرّاء ذلك وجدنا جيلاً من كبار اللغويين يولون اهتماماً كبيراً بالنحو والعناية به، وهذا تابع من الدور الذي يؤديه في مجالين:

أولهما: حماية اللسان العربي من اللحن والخطأ حين القراءة أو الكتابة.

والآخر: أهميته في فهم القرآن الكريم وتفهيمه، ولهذا وصف أحد القدماء النحو[1] بأنّه:"ميزان العربية والقانون الذي تحكم به في كل صورة من صورها"[2].

وهناك أمر يدعو إلى الإعجاب والثناء والتّقدير، وهو اهتمام القدماء من أئمة الدّرس النحوي بوضع بعض الأعمال التعليمية التي تفيد في تيسير القواعد وتبسيطها، وذلك لإحساسهم بدورها في تثقيف الناشئين وكتاب الرسائل والدّواوين، التي تقدم إلى محبي اللغة العربية وعشاقها في شكل مجموعة من الدّروس في"النحو التعليمي".

[1]– ينظر: النحو التعليمي والتطبيقي في القرآن الكريم، محمود سليمان ياقوت، ص:08.

[2]– المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

التأليف التعليمي:

إنّ العلاقة التي تربط بين التعليم والنحو علاقة وطيدة جداً على مرور الأزمنة والعهود، فقد كان التعليم منذ المؤلف الأول سيبويه قبلة كل النحاة، بالرّغم من أنّ هناك الكثير من العلماء الذين أشاروا إلى هذا الجانب رغم أنّ هذا جاء متأخراً نوعاً ما ويرجع الباحثون هذا التأخر إلى "أنّ عصور الفصاحة بقيت تلقي بظلها على لغة القوم مدةً ليست بيسيرة حتى بعد أن طرأ اللحن والخطأ على الكثير من الأسس بل إنّ هناك بيئات، وهي البيئات البدوية بقيت تتميّز بالفصاحة اللغوية وسلامة التّعبير حتى نهاية القرن 3هـ تقريباً مما جعلها مصدراً من مصادر أخذ الرّواية والتّعرف إلى استعمال الفصيح عند لغويي ذلك العصر، ولهذا فقد تأخر ظهور التّأليف التّعليمي نسبياً عن التّأليف العلمي"[1]؛ أي أنّ التّأليف التّعليمي قد ظهر متأخراً عن التّأليف العلمي المتخصص، ومن أقدم ما وصلنا من كتب تهدف إلى التعليم ووضع القواعد النحوية بطريقة مسيرة واقعية، نذكر منها: تلقين المتعلم لابن قتيبة، أصول النحو لابن سراج، كتاب فعلت وأفعلت لأبي إسحاق الزجاجي...وغيرها.

ومن الدوافع التي ساعدت على نمو وازدهار حركة التأليف التعليمي في النحو العربي مايلي:

1/ رغبة الأعاجم الذين دخلوا الإسلام في تعلم اللغة العربية باعتبار أنّ الدّين لا يفهم إلا باكتساب اللغة العربية، وكون هذه اللغة هي اللغة الرسمية المستخدمة في المجتمع وأمور الحكم والسياسة.

[1]– مناهج التأليف النحوي، كريم حسين ناصح الخالدي، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2007م–1427هـ، ص: 49.

2/ وجود الكثير من المدارس التي تهتم بتلقين علوم الدّين من فقه وحديث وتفسير وكذلك النحو، فلزم عن ذلك وجود كتب نحويّة يبنون تعلماتهم ودروسهم على منوالها[1].

3/ رغبة إصرار الكثير من الخلفاء والأمراء لإيجاد كتب نحوية تسهل الأمور على الدّارسين مثل ما فعله الفرّاء في تصنيفه لكتاب أصول النحو تلبيةً لرغبة المأمون، وكذلك الإيضاح العضدي لأبو علي الفارسي إلى عضد الدولة البويهي.

4/ محاولة تسهيل وتبسيط طرق التأليف النحوي لتكون في متناول المتعلمين خاصةً المبتدئين منهم.

5/ لقد كان للموجة الحنبلية أثر بالغ في تعلم العلوم، فحللوا علوماً وحرّموا أخرى، وعلم النحو من العلوم المحللة فكثر البحث فيه والاهتمام به لأنّه علم لفظي[2].

6/ إضافةً إلى رغبة النحاة في تيسير النحو وفزعهم من ضياع العربية بدخول كلمات ركيكة، وأخرى دخيلة أعجمية باعتبار أنّ الحكم في هذه الفترة كان للأعاجم، فبعد الفتنة التتارية يقول عبد العال سالم مكرم أنّ هذه الفتنة قد أتت على التّراث العربي بالسلب فحرقت كتب اللغة والنحو والفقه وغيرها، فحاول العلماء سد ذلك النقص الذي خلفه هذا الحرق بكثرة التآليف[3].

وقد اعتمد هذا المنهج على الحفظ والتلقين والتكرار، ويرى نهدي المخزومي على الدّرس النحوي قد بلغ من الجدب عند هؤلاء" إذ كانوا يضعون فيه كتباً مختصرة مشتقة من كتب الأقدمين يسمونها

[1]- ينظر: المرجع السابق، ص: 50.
[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص: 50-51.
[3]- ينظر: المرجع نفسه، ص: 51-52.

مقدمات أو متوناً ثم يشرحونها ويوسعونها بالتعليلات والتأويلات والردود والمناقشات، وبسط الوجوه المحتملة للمسألة الواحدة، ووضع الحدود المنطقية الجامعة المانعة وتحليلها...[1].

المؤلفات التعليمية:

المقصود بها مجموع الكتب التي تهتم وبصفة خاصة بعرض المادة النحوية عرضاً وشرحاً وتفسيراً سواءً أكان هذا التّأليف موجة للمبتدئين أو لمن هم أعلى مستوى.

وليس المقصود بالصبغة التعليمية الكتب النحوية المخصصة لتعليم المبتدئين، بل هي كل ما تمّ تنظيمه وتصنيفه لوضع مقاييس دقيقة، وضوابط صحيحة يتضح من خلالها وجه الخطأ والصّواب في التّراكيب وبنية المفردات، وما صنّف في الجانب العلمي من خلال تطبيق هذه القواعد على النصوص[2].

ومما تمتاز بها هذه الكتب عن غيرها ما يلي:

*الابتعاد عن كل ما هو ذهني تجريدي في منأى عن التفريعات والتقسيمات والمغالاة في التعليلات.

*التركيز على القاعدة دون الولوج إلى التفاصيل.

*الاعتماد على كل ما هو متفق عليه والابتعاد عن كل ما فيه خلاف.

[1]- المرجع السابق ، ص: 50-51.

[2]- ينظر: التأليف النحوي بين التفسير والتعليم، وضحة عبد الكريم جمعه الميعان، ص: 213.

*الاهتمام بكل ما هو يسير لا يضع الطالب في متاهات لا مخرج منها.

*كذلك أنها تهتم بالشواهد والأدلة[1].

موضوعاتها:

اختلفت موضوعاتها وتعددت، يمكننا تصنيفها إلى ما يلي:

المجموعة الأولى:

الكتب التي تعرض الأبواب النحوية والصرفية واللغوية، تتمثل في كتاب تلقين المتعلم لابن قتيبة، الموفقي لابن كيسان، والأصول في النحو لابن السراج.

المجموعة الثانيّة:

الكتب التي اهتمت بالأسر والفصائل النحوية والصرفية، ركّز مؤلفوها على باب واحد كالمقصور والممدود أو المذكر والمؤنث، أو حرف واحد(اللامات الألفات)، وتتفرع إلى أنواع مختلفة نذكرها فيما يلي:

1/ كتب المؤنث والمذكّر: لكل من الفرّاء والمبرّد، والمفصّل وابن الأنباري وابن جني وابن فارس.

2/ كتب المقصور والممدود: صنّف في هذا النوع الفرّاء ونفطوية والوشاء وابن ولاد.

[1]- ينظر: المرجع السابق، ص: 213-214.

3/ كتب حروف المعاني: للزجاجي في هذا المجال كتابين(حروف المعاني، كتاب اللامات).

4/ كتب الخط والهجاء: نجد هناك كتاب **القلم** لابن السراج ومختصر في ذكر الألفات لابن الأنباري وكتاب الخط للزجاجي[1].

المجموعة الثالثة:

كتب محاربة اللحن الذي شاع في كلام العربية، فكانت الدّافع الرئيسي لإيجاد كتب تصون اللسان من الواقع في الخطأ، فاهتموا ببنيّة الكلمة ولابن عباس ثعلب في هذا النوع الفصيح ولأبي إسحاق الزجاجي **فعلت و أفعلت**[2].

المجموعة الرابعة:

الكتب النحوية التّعليمية التّطبيقية التي انصبّ اهتمامها حول تطبيق القواعد النحوية على النصوص اللغوية المختلفة (القرآن الكريم، الحديث النبوي الشريف، كلام العرب). صنّف فيها كل من الكسائي والفرّاء والأخفش مؤلفاتهم معاني القرآن، والزجاجي معاني القرآن وإعرابه، وكتاب الإبانة والتفهيم، وكتاب المجالس والأمالي[3]. فتنوعت موضوعات النحو في هذه المؤلفات من خلال طرح الأبواب النحوية، ثمّ تخليص هذه الأبواب النحوية من المباحث الصرفية المتناثرة وأسسوا لها كتباً

[1]– ينظر: التأليف النحوي بين التفسير والتعليم، وضحة عبد الكريم جمعه الميعان، ص: 214–215

[2] – ينظر: المرجع نفسه، ص: 215.

[3] – ينظر: ، المرجع نفسه، ص: 215.

مستقلّة، ولضبط ألسنة المتعلمين من الزّلل والوقوع في الخطأ،فقد سعوا إلى الاهتمام ببنية الكلمة ومعرفة الفصيح من غير الفصيح، وفي الخير عمدوا إلى تطبيق تلك القواعد على النصوص خاصةً فيما يتعلق بالقرآن الكريم.

لكن هذا التّقسيم أو التّصنيف لا يعني أنّ كل مجموعة من هذه الكتب تنفرد بمضامينها فقط بل قد يشتمل الكتاب الواحد على كل الموضوعات مثل: كتاب تلقين المتعلم لابن قتيبة الذي جاء فيه للأبواب النحوية والصرفية، فهو ينتمي إلى المجموعة الأولى لكنّه ذكر بعض حروف المعاني وجاءت فيه موضوعات من التّطبيق النحوي كإعراب **لبسم الله الرحمن الرّحيم**، وكذلك كتاب الموفقي لابن كيسان الذي عرض الأبواب النحوية وحروف المعاني وضمّنه النحو التطبيقي[1].

منهج التأليف التعليمي في النحو العربي:

اختلفت طرق وأساليب عرض المادة النحوية حسب منهج كل نحوي من النحاة، نخلصها فيما يلي:

1-الأسئلة وأجوبتها:

يتماشى هذا الأسلوب مع المراحل التّعليمية الأولى، وقد اتّبعه الكثير من النحويين في مصنّفاتهم مثل: الزجاج الذي كانت أسئلته المقدّرة بثمانين سؤالاً مادة الكتاب نفسه، وكذلك ابن قتيبة الذي نجده كذلك قد سلك المسلك نفسه لكن بأسلوب مغاير فيتطرق إلى الباب بقوله: ما يُسأل عنه في

[1]- ينظر: المرجع السابق، ص: 215-216-217.

باب كذا، ثمّ يسال ثمّ تليه الإجابة التي بدورها تطرح سؤالاً آخر إلى أن ينتهي الباب مثل قوله: ما يُسال عنه في باب التّمييز والعدد والجواب فيه؟[1]

يسأل: كيف التّمييز؟

التّمييز أن تذكر عدد الشيء من الأشياء فتميّز منه واحد فتنصبه على التّمييز نحو ماذا؟

نحو:"عشرون رجلا"وخمسون درهما"وستون دينارا" وما أشبه ذلك.

ولم ميّزت واحد من العدد؟

لأنّك لما قلت: عشرون أو ثلاثون لم يُعلم ما هو. فلما ميّزت واحد منه فقلت: "درهما"و"دينارا"و"رجلا" علم بما ميّزته ذاك العدد. وهكذا تتوالى الأسئلة إلى أن ينتهي الباب[2].

2-ترتيب المادة العلمية حسب حروف المعجم:

اتبعت هذه الطريقة في العرض الكلّي للمادة النحوية أو باب واحد فقط، وابن جني من بين الذين ألّفوا حسب هذه الطريقة في كتابه "المذكّر والمؤنث" في ذكره للمؤنث الذي لا يجوز تذكيره مرتباً

[1]- ينظر: المرجع السابق، ص: 217-218.

[1]- تلقين المتعلم من النحو، ابن قتيبة أبي محمد عبد الله بن مسلم،رسالة ماجستر، تحقيق: محمد سلامة الله محمد هداية الله، إشراف: يوسف عبد الرحمن الضّبع، جامعة أم القرى، السعودية، 1406-1986، ص: 232.

كلمات هذا الباب على حروف المعجم ثمّ المذكّر الذي لا يجوز تأنيثه، ثمّ يذكر الحكم. وقد سار على هذا المنهج الزجاج في كتابه فعلت وأفعلت، وكذلك ابن ولاد في كتابه المقصور والممدود.

أما عن السّبب الذي جعلهم يتّبعون هذا التّرتيب فهو تقريب الموضع الذي يوجد فيه الحرف فيسهل إيجاد عند طالبيه[1].

هذا عن الذين اتّبعوا التّر ـ المعجمي في كل مؤلفاتهم، أما عن النحاة الذين اتّبعوا هذه الطريقة في باب واحد **ابن قتيبة** في باب ما يضاعف من الحروف فيقول:

الألف لا يضاعف.

أحبّه، لما شددت الباء؟

لأنّهما باءان.

وكيف ذلك؟

لأنّي أقول: أحججته، ففيها باءان وهو مضاعف.

فتّه: لم شددت التاء.

لأنهما تاءان.

[1]- ينظر: التأليف النحوي بين التفسير والتعليم، وضحة عبد الكريم جمعه الميعان، ص: 217-218.

كيف؟ لأني أقول: فتت

من أي أصل هو؟ من المضاعف.[1]

وهكذا دواليك إلى نهاية الباب.

3-طريقة العرض:

أ-كيفية عرض النصوص والتصرّف فيها:

يصعب على المؤلف الذي يعمل على وضع كتب تعليميّة رصد النصوص ونقلها كما هي فيرجع ذلك بالدّرجة الأولى إلى طبيعة هذا التّأليف والفئة الموجه لها وكيفية التّصرف في هذه النصوص من خلال شرحها وتفسيرها وتوضيح مكنوناتها، وقد تجسد كل هذا عند"ابن قتيبة"في كتابة"تلقين المتعلم" في تصرفه بما جاء في كتاب سيبويه من نصوص[2].

فيقول سيبويه"وليس في الأسماء جزم لتمكنها وللحاق التنوين، فإذا ذهب التنوين ليجمعوا على الاسم ذهابه وذهاب الحركة"[3].

[1]- تلقين المتعلم من النحو، ابن قتيبة أبي محمد عبد الله بن مسلم، ص: 65.

[2] - ينظر: التأليف النحوي بين التفسير والتعليم، وضحة عبد الكريم جمعه المعيان، ص: 221.

[2]- الكتاب، سيبويه، تح: عبد السلام هارون، دار الرفاعي الرياض،مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، ص: 05.

فيشرح ابن قتيبة قول سيبويه بقوله: لو جزموا الاسم لاحتاجوا إلى أن يحذفوا التنوين، ثم حذفوا الحركة، فحجفوا به، فلم يحتمل هذا الحرف كلّه فافهم"[1]؛ أي التبسيط والتسهيل من أجل الفهم والاستيعاب من قبل الطلبة وكذلك سار على نهجه الزجاج.

رح النصوص وتفسيرها يساعد المتعلمين على استيعاب النصوص التي تكون في مصنفاتها الأصليّة والتي قد تبدو مبهمة وغامضة تحتاج إلى شرح وإيضاح.

ب– عرض الشواهد والأمثلة:

تختلف طريقة كل مؤلف أو نحوي في طرحه لشواهده النحويّة وأمثلته التّوضيحيّة في الكتب التّعليميّة نذكرها فيما يلي:

1–الإبتعاد عن الخلاف في حقيقة نسبه الشّاهد إلى قائله، فالهدف الرّئيسي لهذا النوع من الكتب نسبة الشّواهد لأصحابها سواءً كان معروف أم لا، لذلك نجدهم تارة ينسبون الشواهد لأصحابها وتارة أخرى يأتون بها من غير نسبة لأنّ ما يهم المتعلم هو مطابقة الشّاهد للقاعدة المتحدث عنها، وكمثال على ذلك استشهاده بهذا البيت دون نسبته إلى صاحبه[2].

[1]– التأليف النحوي بين التفسير والتعليم، وضحة عبد الكريم جمعه المعيان، ص: 221.

[2] – ينظر: المرجع نفسه، ص: 224–225.

إِذَا قَالَت حُـذَامِ فَصَدِّقُوهَـــا فَإِنَّ القَـولَ مَا قَالت حُـــذَامِ[1].

في سياق حديثه عن الحروف المبهمة والمضمرة، وهي من الحروف التي بنيت على الكسر مثل: أمس، رقاش، قطام، جذام.

واهتمامه من جهة أخرى بنسبة الشّواهد لأصحابها كقول النابغة:

يـَا دَارَ مَيَّةَ بِالعَلَيـَاءِ وَالسَنَدِ أَقْـوَتُ وَطَـالَ عَلَيها سَـالِفُ الأَبَدِ[2].

ورد هذا في سياق حديثه في باب الدّعاء وصيغ النداء.

ج- الإختصار في الأحكام:

للتّصرف والاختصار دور مهم جداً في العمليّة التّعليمية باعتبار أنّ طالب العلم لا يستطيع الإلمام بكل ما له علاقة بالأبواب النحويّة الذي هو علم كبير وواسع لا يستطيع سبر أغواره إلا نتبحر فيه.

وممن اتّبعوا هذا الطّريق "ابن كيسان" في كتابه "الموفقي"، فهو حينما يتحدث عن المعرفة من الأسماء يذكر أربعة[1]، فالمعرفة منها خمسة أشياء وهي أسماء الأعلام وما دخلته ألف ولام، وأسماء الإضمار وأسماء الإشارة وما أضيف إلى أحد هذه الأربعة فهو معرفة[2] فلم يذكر الأسماء الموصولة[3].

[1]- تلقين المتعلم من النحو، ابن قتيبة أبي محمد عبد الله بن مسلم، ص: 170.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص: 202.

فالإعلام مثل: زيد وعمرو، وأبي جعفر وزينب، وما دخلته ألف ولام نحو: الرجل والغلام والثوب والدار.

أما أسماء الإشارة فهذا وهذه وذاك وتلك.

وأما المضاف فغلام زيد ودار الرجل وثوبه وثوبي ودار هذا. هذه المعارف.

والنكرات ما كان غيرها وهو الاسم الذي يقع على أمّة كلّها فيه سواء نحو: دار وثوب ورجل وفرس، وما كان نعتاً للنكرة فهو نكرة[4].

[1] – ينظر: التأليف النحوي بين التفسير والتعليم، وضحة عبد الكريم جمعه المعيان، ص: 223.

[3]– ينظر: الموفقي في النحو، محمد بن أحمد بن كيسان، تح: عبد الحسين الفتلي وهاشم طه شلاش، مجلة المورد، بغداد، مج: 04، ع: 02، 1395هـ-1975م، ص: 112.

[3]– ينظر: التأليف النحوي بين التعليم و التفسير، وضحة عبد الكريم جمعه الميعان، ص: 223.

[4]– الموفقي في النحو، محمد بن أحمد بن كيسان، ص: 112.

نماذج تطبيقية للملامح التأليف التعليمي في النحو العربي في كتاب ""الأصول في النحو لابن السراج:""

قراءة شكلية في الكتاب:

كتاب الأصول في النحو لابن السراج كتاب كبير يتكون من ثلاثة مجلدات، وفي هذه الدّراسة سنقتصر على المجلد الأول فقط باعتبار أنّ هذا الكتاب ليس محور دراستنا وإنّما سيكون محط اهتمامنا فيه اختيار أمثلة تطبيقية تتّضح لنا من خلالها ملامح المنهج التّعليمي، لأنّ هذا الكتاب بطيعة الحال موجه للمتعلمين.

ورغم هذا ارتأينا أن نعرّف بهذا الكتاب من الناحية الشّكلية حتى يكون المطّلع على هذا العمل على معرفة به وكأنّه موجود أمامه، فكتاب الأصول في النحو للعلاّمة أبي بكر محمد ابن السري ابن سهل النحوي المعروف "بابن السراج" المجلد الأول محقق من طرف محمد عثمان، نشر من طرف مكتبة الثقافة الدّينية بالقاهرة (مصر) في طبعته الأولى عام 1430هـ-2009م.

يضم هذا الكتاب بين دفتيه 525صفحة في مقدمتها مقدمة المحقق، ويتوزع على سبعة مباحث متلوة بمجموعة من الأبواب، والملاحظ هنا أن كلمة باب ليس بالمفهوم الذي نعرفه اليوم أي الباب الذي يحتوي فصول والفصول التي تحتوي مباحث، وإنّما المقصود بكلمة باب في هذا الكتاب عنوان أو عنصر. كما لا نفوت الفرصة حول الحديث عن واجهة الكتاب التي لها دور مهم في لفت انتباه

القارئ بلون أصفر في الوسط وبرتقالي على الحواشي العليا والسفلى، تتخلّله على الجانب الأيمن والأيسر زخرفة باللون الأسود، كتب عنوانه بخط أسود كبير نوعاً ما، ثم باقي المعلومات حول المؤلف والمحقق والمجلد ودار النشر.

قراءة في العنوان:

الأصول في النحو: لأول وهلة حينما يقرأ أي باحث أو طالب كل حسب مستواه، وسعة اطّلاعه يفهم هذا العنوان وفقاً لتفسيره الخاص، والأصول في النحو كعنوان له عدّة مدلولات، **الأول**: معنى الأصول كأصول أي أدلّة النحو الإجمالية من سماع وقياس وإجماع واستصحاب حال.

أما الثاني: معنى أدلة النحو التفصيلية أي ما يتعلق بقواعد العربية وهو ما نطلق عليه كلمة أصول العربية؛ أي قواعدها التي يستقيم بها اللسان.

لمحة حول ابن السراج:

هو أبو بكر محمد ابن السّري من أصحاب المبرّد وأحبهم إليه، توفي عام 316هـ، نهل العلم عن أهم أئمة النحو، اطّلع على كتاب المبرّد وقرأه، كان على علم بالموسيقى والمنطق، أخذ عليه السيرافي وأبو علي الفارسي والرماني[1]، له مصنّفات وكتب قيّمة في النحو منها: كتابنا الذي نتحدث عنه

[1]– ينظر: تطور النحو العربي في مدرستي الكوفة والبصرة، طلال علاّمة، دار الفكر البناني، لبنان، ط1، 1993، ص: 174.

(الأصول في النحو) وكذلك كتابه في مختصر النحو الذي اختصر فيه أصول العربية وجمع مقاييسها[1] أيضاً له كتاب مجمل الأصول وكتاب الاشتقاق وشرح سيبويه وكتاب احتجاج الفرّاء[2].

يقال عنه أنّه أمام النحاة وأحد العلماء المشهورين باللغة، خالف البصريين في الكثير من آرائهم وقد كان شاعراً طرباً وله شعر رائق منها ما قاله في أم ولده التي كان يحبها حباً جماً:

قَايَسْتُ بَينَ جَمَالِها وَفِعَالِها فَإِذَا الملاحَةُ بِالخِيانَةُ لا تَفِي

حَلَفَتْ لَنَا أَلاّ تَخُونَ عُهُودَنَا فَكأنّما حَلَفَتَ لنَا أَلاّ تَفِي

والله لا كَلّمَتُهَا ولو أَنّها كالشَّمس أو كَالبَدرِ كَالمُكْتَفِي[3]

ملامح المنهج التعليمي في كتاب الأصول لابن السراج :

كتاب الأصول لابن السراج كتاب تعليمي موجه للفئة المتوسطة والمتخصصة من المتعلمين ينتمي إلى المجموعة الأولى التي تعرض لمختلف الأبواب النحوية والصرفية واللغوية.

[1]– ينظر: طبقات النحويين واللغويين، أبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط2، ص: 112.

[2]– المدارس النحوية، شوقي ضيف، ص: 140–141.

[3]– الأصول في النحو، ابن السراج، تح: محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، مج:1، ط1، 1430هـ–2009م، ص: 32–33.

-الجانب التعليمي في هذا الكتاب:

نظراً للخصائص التي يتميز بها هذا الكتاب والتي تعتبر من أهم مميزات المنهج التّعليمي، والمتمثلة في أسلوب الحوار والمخاطبة وجلاء العبارة ووضوح معناها، وعرض للشواهد وإعرابها، وتمييز الألفاظ وشرح غريبها والإبتعاد عن التفريعات والتقسيمات[1].

لقد صرّح ابن السراج في كتابه أنّ الأصول في النحو موجه للمتعلمين في سياق شرحه للاسم في قوله: "ولما كنت لم أعمل هذا الكتاب للعالم دون المتعلم احتجت إلى أن أذكر ما يقرب على المتعلم"[2].

فيعرف الاسم:"أنه ما دل على مفرد، وذلك المعنى يكون شخصا وغير شخص."[3]

أما الشخص فيقول أنّه كرجل وفرس وعمرو وغيرها.

وغير الشخص كالضرب والأكل والظن وغيرها.

ولتتضح الفكرة للمتعلم وتقرب إلى ذهنه فيقول: أنّه ما كان دالاً على مفرد لأنّ الفرق بين الفعل الذي يدل على زمان حاضر أو ماض أو مستقبل والاسم مثل: اليوم والليلة فالفرق بينهما أن الفعل

[1]- ينظر: التأليف النحوي بين التعليم والتفسير، عبد الكريم جمعة الميعان، ص: 237.
[2]- الأصول في النحو، ابن السراج، ص : 42 .
[3]- المصدر نفسه، ص : 43.

ليس زمان على عكس الاسم مثل: اليوم الذي هو زمان فقط، فالفعل يدل على معنى وزمان محصل والاسم ما دلّ على زمان.[1]

ومما تعرف به الأسماء أن يقال: أنّ الاسم ما يخبر عنه مثل قولك: قدم محمد الإخبار أن محمد قد قدم و أتى.

والفعل ما كان خبراً أي يخبر به ولا يخبر عنه كقولك: نجح المجتهد.

أم الحروف فلا يخبر عنها ولا تخبر بها مثل: من، على، إلى.

ويعرف الاسم كذلك بدخول الألف واللام للتعريف كقولك: الكتاب، والمعلم. وهذا لا ينطبق على الفعل. وكذلك دخول حروف الخفض مثل: أعجبت بمهاراتك، وكذلك يعرف بعدم دخول قد وسوف عليه فلا تقول: قد الحياة أو سوف النجاح، والاسم لا ينعت مثل: ورسول صدقته وآمنت به[2].

ومما يؤكد أنّ هذا الكتاب تعليمي كما يشير صاحبه على حد قوله:" مما يقرب به على المتعلم أن يقال له: كل ما صلح أن يكون معه (يضر وينفع) فهو اسم، وكل ما لا يصلح معه (يضر وينفع).

[1] – ينظر: المصدر السابق، ص: 41-42.

[2]– ينظر: المصدر نفسه، ص: 42.

فليس باسم تقول: (الرجل ينفعني والضرب يضربني)، ولا تقول: (يضربني ينفعني) و (لا يقوم يضربني)"[1].

-التصرف في النصوص :

تقتضي طبيعة هذا التّأليف التّعليمي نقل النصوص مما أنتجه السابقون والتصرف فيها من خلال شرحها وتفسيرها حتى يسهل فهمها عند المتعلمين، وقد شرح ابن السراج كلام من نقل عنهم كتصرفه في كلام سيبويه:"أخبرنا بذلك يونس إلا أنّه قد جاء في لغة لخثعم: ذات ليلة وذات مرة أي جاءتا مرفوعتين فيجوز على هذا أن تنصب نصب المفعول على السعة"[2]. والنص الأصلي موجود في الكتاب.

وقال رجل من خثعم:

عَزِمْنَ على إقامة ذي صباح لِشَيءٍ مَا يَسُودُ من سود[3].

فهنا يجوز الرّفع حسب هذه اللغة. في هذه الحالة يبدو تصرف ابن السراج بوضوح أكثر من خلال شرحه وحذفه للشاهد.

[1]- ينظر: المصدر السابق ، ص: 43.

[2] - ينظر: المصدر نفسه، ص: 182.

[3] - التأليف النحوي بين التعليم و التفسير، عبد الكريم جمعة الميعان، ص: 244.

-التمثيل لكل قاعدة نحوية:

يعتبر عرض الأمثلة المناسبة لكل قاعدة من القواعد النحوية من أهم خصائص التّأليف التّعليمي والهدف الرّئيسي من وراء ذلك تسهيل سبل التعلم عند المتعلمين باختلاف مستوياتهم، وابن السراج في كتابه هذا لا يورد أي قاعدة نحوية دون تمثيل مع شرح وتفسير مثل حديثه فيما يخص الحروف فيقول أن الحرف ما لا جاز الإخبار عنه كما الحال في الاسم الذي يخبر عنه فلا يقال: إلى منطلق ولا عن ذاهب كما تقول: زيد ذاهب ولا يجوز أن تكون خبراً فلا تقول: عمرو إلى.

والحرف لا يجتمع مع حرف آخر فهماً لا يؤلفان كلاماً مع بعضهما فلا تقول: أ من (ألف الاستفهام ومن حرف الجر)، ويذكر أمثلة أخرى كحروف العطف مثل: ثم قد وهذا لا يجوز وأمثلة أخرى لحالات مختلفة.[1]

-التسامح في الألفاظ :

لقد عدّ ابن السراج نفسه بصرياً لكنّه في العديد من المرّات يخرج عن المصطلحات البصرية ليستبدلها بأخرى كوفية وهذا التّسامح في المصطلحات هدفه تعليمي يسعى إلى تقريب وإيضاح المادة العلمية للمتعلمين وقد لوحظ هذا الأمر في مواضع عدّة منها قوله: "ومن قال: ظننته زيد قائم فجعل الهاء كناية عن الخبر والأمر، وهو الذي يسميه الكوفيون المجهول."[2]

[1] – ينظر: الأصول في النحو، ابن السراج، ص: 46.

[2] – المصدر نفسه، ص: 204.

-الإعراب التفصيلي للنصوص اللغوية:

من خصائص التّأليف التعليمي كذلك في هذا الكتاب الإعراب التّام للشواهد والأمثلة التي صوغها ويوردها ابن السراج في شرح قواعده، وفي كل مسألة من مسائلهم من أجل تقريب الصورة وتوضيح الفكرة، وإجلاء الغموض عن ذهن متعلمه، ولهذا فنحن نجد أنّ ابن السراج قد عمد في أصوله إلى تفسير شواهده وإعرابها إعراباً تفصيلياً مثل شرحه للثاني وهو خبر المبتدأ بعد تعريفه وذكر أنواعه، وتحديد أحواله من حيث النكرة والتعريف فيقول أنّها أربعة:

1-أن يكون المبتدأ معرفة والخبر نكرة مثل: عمرو منطلق.

2-أن يكون المبتدأ معرفة والخبر معرفة مثل: زيد أخوك.

3-أن يكون المبتدأ نكرة والخبر نكرة لوقوع الفائدة كقولك: ما أحد في الدّار، وما فيها رجل.

4-أن يكون المبتدأ نكرة والخبر معرفة ويعمل هذا مع قلب ما وضع عليه الكلام وإنما جاء مع الأشياء التي تدخل على المبتدأ أو الخبر فتعمل لضرورة الشاعر:

كَأَنَّ سُلاَفَة من بَيتِ رَأْسٍ يكون مِزَاجَهَا عَسَل و مَاءٌ[1]

وهنا محور حديثنا حول شرح وإعراب الشاهد الذي احتج به ابن السراج فيقول: أن الشاعر جعل عسل اسم كأن وهو نكرة ومزاجها الخبر وهو معرفة إضافة إلى الضمير وقد استحسن ذلك عند

[1]- المصدر السابق، ص: 73.

الشاعر لأن عسلا وماء نوعان مختلفان عن باقي النكرات التي تنفصل بالخلقة والعدد مثل: تمرة وجوزة، أما الضمير الذي في مزاجها عائد على نكرة في قوله سلافة كقولك مثلاً: خمرة ممزوجة بالماء[1].

-المسائل الخلافية:

لقد ذكر ابن السراج في كتابه بعض ملامح الخلاف بين أهل البلدين، وأورد آراء مختلفة لعلماء عدّة دون الإفاضة في الحديث عن نقاط الاختلاف والاتفاق بينهم، وفي أحيان أخرى يذكر آراء للبصريين دون الكوفيين وأحياناً أخرى العكس في مواضع عديدة[2].

[1]- ينظر: المصدر السابق، ص :72-73.

[2]- ينظر: التأليف النحوي بين التعليم والتفسير، عبد الكريم جمعة الميعان، ص: 249.

خاتمة

خاتمة :

بعد هذه الرحلة الطويلة في ثنايا النحو العربي، فإن مما لاشك فيه أن كل دراسة أو مجهود علمي يتوج بنتائج و استنتاجات تلخص مضمونه ومن بين ما وصلنا إليه من خلال بحثنا هذا ما يلي:

1. القرآن الكريم هو المنهل الرئيسي الذي استمدت منه كل الدراسات اللغوية وجودها.
2. لقد اتضح لنا أنه حتى وإن تعددت الروايات واختلفت الآراء حول واضع النحو العربي وإن كانت أغلبها تنسب أبوة النحو والعربية إلى أبي الأسود الدؤلي كونه قد كان لمجهوداته الفضل الكبير على الدرس النحوي العربي من خلال وضعه للحركات التي اعتبرها العلماء اللبنات الأولى للنحو العربي، وكذلك مجهودات تلاميذه ومن تبعهم.
3. كان لوضع النحو العربي دوافع عديدة منها: دوافع دينية وسياسية واجتماعية وأخرى قومية ماراً بأربعة أطوار استوى فيها قائما على ساقيه.
4. بدايات التأليف النحوي تشير إلى أن الدرس النحوي كان شفويا ثم تحول إلى مادة مكتوبة وانجاز ضخم وعمل غير مسبوق ،فكتاب سيبويه بالصورة التي وصل بها إلينا ليس كتاب نحوي فقط بل دائرة معارف لغوية شملت النحو والصرف والصوتيات والبلاغة والتجويد وحتى اللهجات ؛لكن هذا لا يمنع وجود ترجيحات أخرى حول إذا ما كان الدؤلي صاحب أول تأليف أو عيسى بن عمر، لكن الكتاب أول كتاب يصلنا في صبغة كاملة من الناحية الشكلية أو المضمون .

5. تعتبر محاولة المبرد في مقتضبه نقلة ثانية للتأليف النحوي العربي بخروجه من فلك سيبويه الذي سيطر تفكيره على النحو العربي لأمد طويل من خلال مناقضته له في قضايا عديدة ومسائل مختلفة أبان فيها المبرد عن شخصيته المستقلة.

6. كذلك محاولة الزمخشري في مفصله كانت مظهراً من مظاهر تطور الدرس النحوي وفي مجال التأليف النحوي بالأخص من الناحية الشكلية أو من ناحية المضمون .

7. مرحلة التأليف النحوي بنيت على مناهج مختلفة منها الوصفي والعلمي والتعليمي .

8. صعوبة النحو العربي فرضت ظهور المنهج التعليمي من أجل تسهيل و تيسير العملية التعلمية التعليمية فأفردت لذلك الكتب الخاصة التي تتسم بصبغة تعليمية بحتة تختلف في موضوعاتها ومسائلها وعرض مادتها وشواهدها وكيفية توجيهها للمتعلمين كل حسب مستواه أي: من حيث اللغة والتصرف في النصوص وترتيب المادة داخل الكتاب وطرق عرض المسائل الخلافية والتحكم فيها لاجتناب التشويش على ذهن المتعلم .

9. التأليف التعليمي ليس وليد مرحلة معين أو قرن معين لأنه ارتبط ارتباطا وثيقا بالنحو العربي منذ المؤلف الأول أي منذ "الكتاب " لسيبويه.

10. هناك العديد من الدوافع التي ساعدت نمو وازدهار حركة التأليف التعليمي في النحو العربي تتقدمها محاولة الموالي تعلم العربية للحاق بأهلها ، بالإضافة إلى وجود العديد من المدارس التي تعلم مختلف العلوم الدينية و النحو الذي فرض عليهم وضع كتب نحوية تبنى عليها تعلماتهم و دروسهم ، وكذلك محاولة تيسير و تسهيل طرق التأليف النحوي لتكون في متناول المتعلمين .

11. أن الموالي هم من طوروا التأليف التعليمي في النحو العربي بعد انتزاعهم لرايته من أيدي علماء العربية .

12. المؤلفات التعليمية هي المؤلفات التي تهتم بعرض المادة النحوية شرحا وتفسيرا سواء أكان موجه للمبتدئين أو لمن هم أعلى منهم مستوى .

13. للكتب التعليمية من الخصائص التي تميزها عن غيرها، فهي تميل إلى التركيز على القاعدة وإيضاحها بأسهل الطرق دون الولوج إلى التفاصيل والمسائل الخلافية وتعصبها مع الابتعاد عن التفريعات والتقسيمات .

14. تعدد موضوعات التأليف التعليمي واختلفت منها :

-ما فيه عرض للأبواب اللغوية والنحوية والصرفية كتلقين المتعلم لابن قتيبة والأصول في النحو ابن السراج .

- وأخرى اهتمت بالأسر والفصائل النحوية والصرفية ركز مؤلفوها على باب واحد مثل: المقصور والممدود، الذكر والمؤنث، أو حرف واحد كاللامات، الألفات مثل: كتب المؤنث والمذكر لكل من الفراء والمبرد، وكتب المقصور والممدود لكل من الفراء ونفطويه والوشاء. وكتب حروف المعاني للزجاجي وكتب الخط والهجاء كالقلم لابن السراج.

-الكتب المصنفة لمحاربة اللحن منها: كتاب فعلت وأفعلت لأبي إسحاق الزجاجي.

-الكتب النحوية التعليمية التطبيقية التي اهتمت بتطبيق القواعد على النصوص وصنف فيها كل من الكسائي والفراء والأخفش مؤلفاتهم معاني القرآن .

15. اختلاف أساليب وطرق عرض المادة النحوية حسب منهج كل نحوي.

16. ابن السراج من أئمة الدرس النحوي العربي له مصنفات عديدة منها كتاب الأصول في النحو ،وهو كتاب ثري جدا فيه ثلاث مجلدات .

17. كتاب الأصول في النحو لابن السراج كتاب تعليمي يلم بكل ملامح المنهج التعليمي أشار فيه ابن السراج إلى انّه موجه للمتعلمين وانعكس ذلك بوضوح في ثنايا كتابه من خلال تصرفه في النصوص والتمثيل لكل قاعدة نحوية وتسامحه في الألفاظ والمصطلحات مع الإعراب التفصيلي للنصوص وتقليله لحدّة المسائل الخلافية في استشهادا ته.

قائمة المراجع

قائمة المصادر و المراجع:

***القرآن الكريم برواية ورش نافع .**

- أهميّة اللغة العربية مناقشة دعوى صعوبة النحو، أحمد بن عبد الله الباتلي، تقديم: الشيخ عائض بن عبد الله القرني، دار الوطن، الرياض(السعودية)، ط1، جمادي الأول 1412هـ.

- تاريخ النحو، علي النجدي ناصف، دار المعارف، مصر.

-إصلاح النحو، دراسة نقديّة، عبد الوارث مبروك سعيد، دار العلم للنشر والتوزيع، الكويت، ط1 1406-1985.

-ابن جني النحوي، فاضل السامرائي، دار الندى للطباعة والنشر، جامعة بغداد، العراق، 1389هـ-1969م.

-أعلام في النحو العربي، الشيخ أبو الحسن الفاضل، منشورات دار الجاحظ، والإعلام ،بغداد، ط1، 1400هـ-1980م.

-الأصول في النحو، ابن السراج، تح: محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، مج:1، ط1، 1430هـ-2009م.

-التأليف النحوي بين التعليم التفسير، وضحة عبد الكريم جمعه الميعان، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، ط1، 2007م-1428هـ .

-الحلقة المفقودة في تاريخ النحو العربي، عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1413هـ-1993م.

-الخصائص، ابن جني، تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصريّة، مصر، ج1، ط1.

-الدراسات اللغوية عند حتى نهاية القرن الثالث الهجري، محمد حسين آل ياسين

-دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تح :محمد رضوان الداية، مكتبة سعد الدين، دمشق، ط1 ،1403هـ-1983م،ط1407،2هـ-1987م.

-الكتاب، سيبويه، تح: عبد السلام هارون، دار الرفاعي الرياض، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1.

-اللغة بين الوصفية والمعيارية، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط4.

-المدارس النحوية، شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط7

-المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدّين السيوطي، شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته وعلق حواشيه:محمد أحمد جاد المولى بك، علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، مصر، ج2، ط3، 2008/10/20.

-الموفقي في النحو، تح: عبد الحسين الفتلي وهاشم طه شلاش، مجلة المورد، بغداد، مج: 04، ع:02، 1395هـ-1975م.

-النحو التعليمي والتطبيقي في القرآن الكريم، ، محمود سليمان ياقوت، مكتبة المنار الإسلاميّة للنشر والتوزيع، ط1، 1996م.

-النحو العربي ومناهج التأليف والتحليل شعبان عوض محمد العبيدي، منشورات جامعة قاريونس، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق(سورية)، 1989.

-تطور الدّرس النحوي، حسن عون، معهد البحوث والدّراسات العربية.

-تلقين المتعلم من النحو، ابن قتيبة أبي محمد عبد الله بن مسلم،رسالة ماجستر، تحقيق: محمد سلامة الله محمد هداية الله، إشراف: يوسف عبد الرحمن الضّبع، جامعة أم القرى، السعودية،

-شرح الأشموني لألفية ابن مالك، المكتبة الأزهرية للتراث، كليّة الأداب بقنا، جامعة أسيوط، مصر، ج1.

-طبقات النحويين واللغويين، الزبيدي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط1 1945.

-طبقات النحويين واللغويين، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط1، 1945.

-ظاهرة قياس الحمل في اللغة العربية، عبد الفتاح حسن علي البجة، دار الفكر، عمان، ط 1419،هـ-1898م.

-مدخل إلى تاريخ النحو العربي، علي أبو المكارم، دار غريب، مصر، 2008

-مراكز الدراسات النحوية، عبد الهادي الفاضلي، عبد الهادي الفاضلي ،مكتبة المنار، الأردن، ط1 1406،هـ -1988م.

-معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تصنيف أبي عبد الله الرومي الحموي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط5، 1411هـ-1991م، ج3.

-مناهج التأليف النحوي، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1427هـ-2007م.

-منهج البحث اللغوي، محمد سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية، الكويت، ط1، 2003م.

-الموجز في الأدب العربي و تاريخه، حنا الفاخوري، دار الجيل، بيروت، 1424هـ – 2003م ،مج1.

-نزهة الألباب في طبقات الأدباء، أبو البركات ابن الأنبا ري، تح: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الأردن، ط3، 1405هـ- 1985م.

-نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، محمد الطنطاوي، دار المعارف، مصر، ط2.

الفهرس

فهرس الموضوعات:

كلمة شكر.

إهداء.

مقدمة.....**أ،ب،ت**

–مدخـــل:.بواكير النحو العربي:.....**05**

*واضع النحو وأسباب وضعه.....07

*دواعي نشأة الدّرس النحوي.....12

*مراحل تطور الدّرس النحوي.....16

– الفصل الأول: التأليف النحوي.....**21**

*ماهية وتاريخ التّأليف النحوي.....22

*أهم المؤلفات النحوية في التّراث العربي.....24

*مناهج التأليف النحوي.....43

– الفصل الثاني: التّأليف التعليمي في النحو العربي.....**48**

*ماهية التّأليف التعليمي في النحو العربي 54

*أساليب المؤلفات التعليمية و أهم خصائصها.....59

*نماذج تطبيقية حول ملامح المنهج التعليمي في كتاب الأصول في النحو لابن السراج... 66

خاتمة.....**75**

قائمة المصادر والمراجع.....80

فهرس الموضوعات.....84